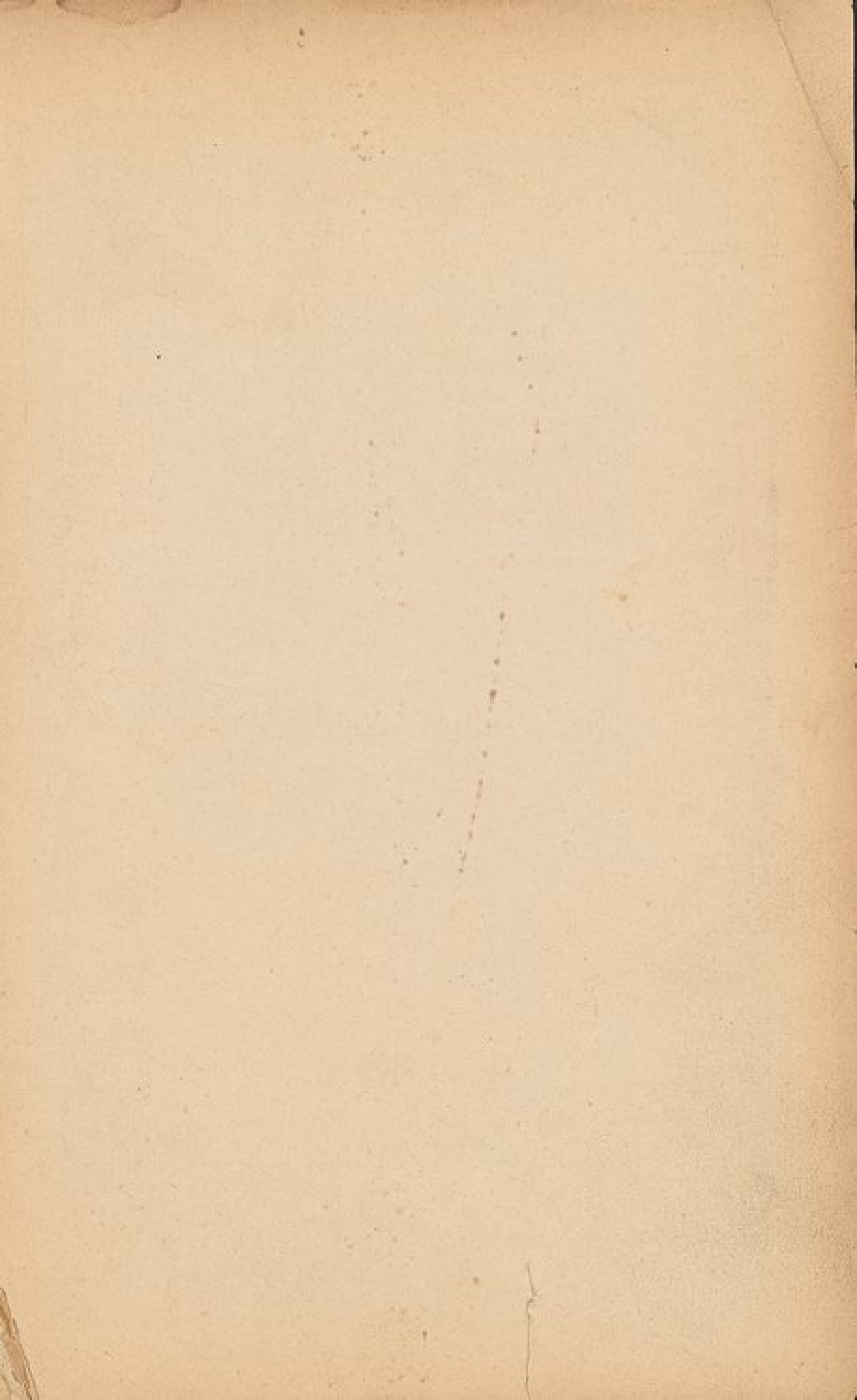
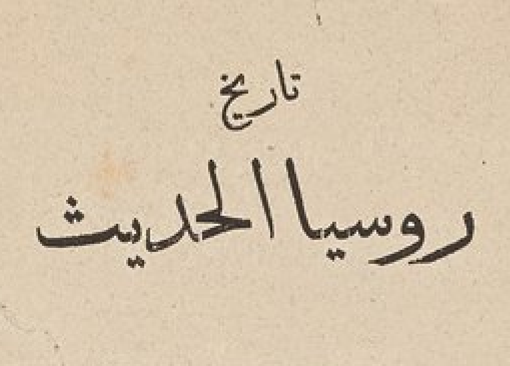


History of New Russia

1888


Princeton University Library
32101 080890344





تاريخ روسيا الحديث

الجزء الرابع

وهو يشتمل على اهم حوادث الامبراطور اسكندر الثاني
واوائل حياة الامبراطور اسكندر الثالث الحالي

تاليف
الفقير اليه تعالى
نخله قلفاط

ويباع في مكتبة النجاح

طبع في بيروت سنة ١٨٨٨

فهرس






الكتاب الرابع

منشور ١٩ شباط سنة ١٨٦١ . اصلاحات حكمية
حكومة محلية

بعد ان انتهت حرب القريم وانسحبت عساكر الدول من المواقع التي كانت تشغلها مكتفية بالخراب الذي وقع فيها نشر الامبراطور اسكندر الثاني اعلانًا اظهر بهِ لشعبهِ نهاية الحرب وابان ان بواسطة اجتهادات الحكومة والشعب معًا تحصل الادارة والعدلية على اصلاح ضروري لها وفهم من ذاك الاعلان انهُ من اللازم ان يلقى قسم كبير من المسئولية بالخراب الذي وقع في الدانوب وفي القريم على سوء استعمال وسكوت الراي العام وحجز حرية المطبوعات ومظالم البوليس .
وقد انتجت حوادث سنة ١٨٥٥ اصلاحًا وتفقهًا في الحكومة والادارة عرف بهما ان شعوب القرى المجبورة با لعبودية على نوع ما لا تقدر ان تثبت على مخاصمة الشعوب الاوربية ما لم تكن حاصلة على النجاح العقلي والعملي والصناعي . وعليهِ كانت تلك النتيجة علة نجاح القوات العقلية والمادية والقانون القائم بادارة روسيا بدون ان يحدث من ذلك تقسيم اشغال البلاد

الخصوصية . واما رجال الحكومات والمتوظفون الذين كانوا يتكبرون ويتشامخون في زمان نقولا الاول فقد احنوا رؤوسهم في زمن اسكندر الثاني ورفض وطرد كثيرون منهم . واصبح اسم تشينوفنيك الذي كان مرعبًا يلفظ باحتقار واستهزاء وصاروا يضيفونهُ لكل ما هو مزمن ومضحك او كريه وظهر على ان روسيا التي كانت تحافظ على مبادي نقولا المملوءة بالعظمة من جري النفخة والتعاظم اختفت تحت الارض . واصبح الخدم وغيرهم كل يقول عن ذاتهِ انهُ شريف ونفخت فيهم نسمة الحرية ونسمة الامل بجسارة وهبتا عن كل البلاد . والحالة التي كانت تنمو في سنة ١٨٠١ حول الامبراطور اسكندر الاول امتدت الان الى روسيا بكمالها فارتفعت اصوات كثيرة بواسطة الجرائد والكتب والمطبوعات التي سمح لها حالاً بالحرية الادبية اللازمة فكانت تقرأ علنًا وتقع لاجلها المباحثات في الغرف العمومية وفي الاسواق فادهشت البوليس وانستهُ تلك المحافظة التي كان يقوم بها منذ امد قريب من الايام . ولم يتجاسر رجال البوليس ان يأتوا بحركة بل كانوا يتسهمون من التظاهرات ومن نشر الحوادث التي كانوا يجرونها ويقومون بها في اخر زمن نقولا الاول وتلهج بها على الدوام الجرائد بكل حرية . ورأى اسكندر ان البلاد

والوحة والتمدن لاتقوم وتقوى الأ بحرية المطبوعات بحيث ترى
القوة العامة نفسها حرة فتتظاهر لدى العالم وتختار ما يضرها
وما ينفعها ورأى ايضاً ان من انفع الاشياء اصلاح حالة المأمورين
وان اولئك لايمكن اصلاحهم الا بواسطة المطبوعات لان كل
صاحب خطة اذا تاكد ان اعماله ستنشر بالجرائد ويعرف بها
الامبراطور واولياء الامور ويلهج بها الخاص والعام يصلح سيرته
ويجتنب المظالم والمغايرات ومن اللازم ان كل من ارتكب جريمة
من المامورين يشهر ويعلن فيكون وسيلة لاصلاح غيره وان
بغير هذه الواسطة لايمكن ان تصل اخبار المرتكبين والظالمين
من الحكام الى ذات الحاكم الاول وهكذا نرى ان في كل الممالك
المتمدنة المحافظة على مبادى العدل والامان قد منحت الجرائد
حريتها الادبية ومثلها سائر المطبوعات نعم انها تدافع عن وطنها
وحكومتها وتحافظ على سياسة دولتها لكن لاتخفي وجوب حالة
الاصلاح ولا نشر المغايرات الواقعة ولا تستحي من المامورين
الظالمين ولا ترضى الا بما يرضاه النفع العام العائد لترقية ونجاح
البلاد وتقدمها في الهيئة الاجتماعية المتمدنة وللمحافظة على مبادي
القانون والملك فتسود وتشاد دعائم سلطتها و يشترك الكبير
والصغير في خدمة البلاد واخوانه من ابناء جنسه ومن نظر الى

حالة اوروبا والدولة العلية يرى ان سبب التقدم فيهما كان بسبب
نشر المعارف واندثار الجهل ولا سيما في روسيا فان كل زمن كانت
بهِ المطبوعات حائزة على حريتها الذاتية كان زمن راحة وتقدم
فتغلب الغيرة الادبية برجالهِ فيجدون ويجتهدون ليقارن
الواحد الاخر والامة الثانية فاذا قرأ اهل هذه المدينة ما يولف
ويكتب ويخترع في مدينة ثانية جدوا الى ان يفوقوهم وهكذا
يتخلصون من الكسل والخمول

وقد قال احد كتباء المطابع في ذلك الزمان في روسيا.
ان القلب يتهلل فرحًا عند ما يشعر باصلاح الهيئة التي هي على
وشك الظهور نعم هو الاصلاح التام الذي يرضى بهِ العقل
والمطالب والامال العامة والاتحاد السالف والاشتراك بالحاسة.
فالحكمة توجد في الحكومة وتنتشر بين الشعب اصلاحات
تامة فتغيب كل حاسة تعصبية وترتبط الطوائف باصل واحد
عام اخوي يجمع كل رتب روسيا في دائرة واحدة لشعب واحد
فيسمح لهُ ان يتم بكل راحة ليس فقط هذه الاصلاحات العظيمة
التي كلفت اوروبا مدة اجيال عديدة اهراق ادمية كثيرة والقيام
بمعارك كثيرة لكن اصلاحات على غير هذا النوع اذ ان طوائف
الغرب المتقيدة الى حد هذا الوقت بالتقليدات الجنونية وادعاءاتهم

الطائفية لا تزال خارجة عن حد الاصلاح المطلوب

وكذلك كان يقال. علينا ان نعارك باسم الحقيقة في كل شيء الا في محبة الذات والفوائد الحقيرة المختصة بالوقت الحاضر ويجب علينا ان نهيء اولادنا منذ نعومة اظافرهم لان يقتحموا هذه المعارك ويقتسموها فانها تنتظر كل رجل ضيغم ويجب علينا ان نظهر شكرنا من افضال الحرب اذ فتحت اعيننا وارتنا الحقائق المبهمة بجهازنا السياسي والاجتماعي ومن الواجب علينا ايضاً ان نستفيد من هذه المثالة التي ورثناها وليس من الواجب علينا ان نفرض ان للحكومة وحدها القدرة في ان تعالج نقائصنا بقوتها الخصوصية فروسيا تشبه مركباً وقف على ارض البحر لا يمكن للربان والملاحين وحدهم ان يخلصوه ولا يمكنه الرجوع الى الماء الاّ بواسطة المد الكلي القدرة المختص بالحياة الشعبية. وعلى رجال المعارف ان يتخذوا علومهم ومعارفهم وسيلة لنوال القوة الحربية والصناعية الكافية وان يبتعدوا عن الخرافات والمغالات التى من شانها انحطاط القوة فيتخلقوا باخلاق حربية ليأتوا بما يقوي دعائمها ويسنوا لها القوانين المرقية . انتهى

وهكذا كان فان جميع الرجال تغيرت وتركت تلك الاراء ولم يعودوا يبحثون الاّ عن طريق جديد واقامة بنوكة وصيارف

وتربية حسنة وزراعة وحراثة وبنايات عمومية وحكومة مطلقة واصلاح شرائع وتاليف شركات صناعية . وقد قال الموسيو ما كانسي . لم يعد يظهر في روسيا غرابات تلك الكتابات التي كانت تكتب للمحاماة عن مبادلة افكار او نشر قصيدة بمدح نوع من الخراج ولا يعرض بحكاية افكار . وضعف فنّ التشخيص زماناً . انتهى

وكل هذه الاشياء التي كانت المطبوعات الروسية تخشى التقرب منها والسلوك عليها وكانت الاعيان لا تتجاسر ان تهتكها كان هرتزن المنفي الى لوندرا ينشرها في جريدتهِ المسماة جرس كولو كول واعداد هذه الجريدة كانت تدخل الى روسيا الوفاً وتوضع على طاولة الامبراطور وتظهر له المظالم المخفية وكانت ترعب كثيراً المتوظفين الخائنين . وبسرعة اصلاح الراي العام كان يرغب اسكندر الثاني ان كل شيء يصطلح لكنهُ وجد ان الاصلاح ينتشر عاماً لانهُ مقبوض عليهِ من شعره فلا بجاة الاَّ بتحرير الفلاحين عموماً واطلاقهم الى شانهم فيمكن للفلاح ان يربي ابنهُ على المعارف او الزراعة او الصناعة او الملاحة فيكون حراً ولا يتقيد بالحراثة فقط وان من اللازم ان تتساوى الامة في التربية وحرية الصناعة والخدمة العسكرية ولدى الحكومة وامام الشرع

دائما وبتلك المساواة يمكن الاصلاح الاجتماعي فاذن من اللازم ان يبدأ بهذا العمل ويكون النجاح سائراً بين الاعيان والخدم فلا يبقى الفلاحون الذين هم قسم كبير من الهيئة الروسية على حالهم مع أنهم من الجنس البشري ولهم الحق في ان يتدرجوا في سلم هذه الحياة كغيرهم فينالوا بجدهم درجة الاعيان وينحط الاعيان ببلادتهم وكسلهم الى درجة الفلاحة والحراثة وليس من العدل ان من كان ابوه فلاحاً وكان فيه اللياقة والحكمة والاراء الحسنة يحرم من ان يكون قائداً او حاكماً و بالعكس

فالشعب الذي كان غير حرّ في روسيا اوانئذٍ بلغ عدده ٤٧ مليونًا ومائة الف نفس وينقسمون . فعشرون مليونًا منهم فلاحو الحكومة واربعة ملايين وسبعمائة الف فلاح يختصون باراضي المعامل والمعادن ونحوها و واحد وعشرون مليون فلاح لاصحاب الاملاك ومليون وخمسمائة الف خدمة ففلاحو الحكومة كان ممكن اعتبارهم كرجال احرار لكنهم فقط يجبرون على دفع مبالغ لاتتعلق الا بالحكومة كواردات الاحراش والاراضي الاميرية وهولاء كانوا يتمتعون بنوع من الحكومة الوطنية وكان يحكمهم منتخبون من المشايخ وفيهم مجالس مولفة من رجال القرى والنواحي

ولم يكن كذلك الفلاحون المخصوصون باصحاب الاملاك
ولا خدمة الفلاحين . واطلاق حرية ٢٢ مليون وخمسمائة الف
رجل مما يقضي على مساعدة الحركة الاجتماعية العجيبة التي انتهت
في اوربا منذ فتنة الفرنسويين. وهذا التحرير يوجب عليهم ان تتخذوا
الصفة التي لاصحاب الاملاك فكانت تلك المباشرة كثيرة
الصعوبات من كل جهة ومع ان كل العالم كان باتفاق على
مسالة الحرية الشخصية وعلى مسألة تملك الاراضي ابتدأت
الاختلافات وكثرت المجادلات والتقولات ولاجل حل هذه
المسالة وجب ان يراجع تاريخ اصول التملك الروسي القديم
فراوا ان احسن المورخين كان يقول ان العبودية لم تكن قديمة
العهد في روسيا ولا جابت الا بواسطة افتتاح نسل في آخر وان
الاقاليم التي افتتحها روسيا لم تستعبدها لكن العبودية كانت موجودة
في حضنها كالتتار ونحوهم وكانت قاسية جداً او بربرية وقد تكرست
بوضع قانون صادر من القوة وكل ما قرب اقليم من النواحي
الروسية كلما ظهر ان العبودية هي قديمة فيه ومرتبطة باقاليم الشمال .
وحكومة اركنجل وفولغا مستثناة فيها فاذن الكريبوستنو برافواي
العمارة الروسية بابتداع القوة القيصرية تولدت حيث تحت النير
المانغولي وترتبت الهيئة الاجتماعية بنوع قاس حول حاكم موسكو

اتخذ لذاته سلطة مطلقة على شرفائهِ وشرفاؤهُ اتخذوا لذواتهم سلطة مطلقة على الفلاحين رعاياهم . فالكريبوستنو برافو نتجت عن احتياجات الدولة الجديدة والتنزل عن الاملاك لرجال الحرب والشرفاء مكافاة للخدمات العسكرية التي كانت تطلب منهم ودخل الارض جعل رصيدًا لحسابهم ليسد مصارف خيولهم واسلحتهم واعهد اليهم ايضًا الان يحكموا ويشترعوا في القرى المالكين على فلاحيها وان يقدموا للمالك جزية ترتبت عليهم ولم يكن للاراضي قيمة ولا ثمن الا بالايدي والعمل فقط فدخل الاملاك يقل اذا قل فلاحوها ويكثر اذا كثروا والشريف الذي يهرب فلاحوهُ كانت تخرب املاكهُ فلا تسد عوز الملك لكي تتقرر الخدمة العسكرية ولكي لاينقص الايراد المالي لزم منع الفلاح عن المهاجرة والهرب فتكون فائدة الملك كفائدة الشريف من حجز حرية الذهاب والاياب وان على الشريف ان يظهر لدى العبد بسلطة مرعبة نافذة . فتعين على الفلاح في كل مكان تقريبًا ان يخضع لاقلها افتراض شرعي وبمنطق الكمال الروسي صارت العمارة شيئًا فشيئًا مملوكة وصار الشريف صاحبًا للارض يملك من عليها وهذه الاشياء ربطت اخيرًا بقانون ذي بنودٍ اذنت بحجز حرية الفلاح وزادت في سلطة السيد . فهكذا كانت

حالة اوكازي فيودور ايفانوفيتش في سنة ١٥٩٢ وسنة ١٥٩٧ ومثلهُ في ازمان بوريس غودونوف في سنة ١٦٠١ وفاسيلي شويسكي سنة ١٦٠٧ وبطرس الاكبر في سنة ١٧٢٢ وكاترين الثانية في روسيا الصغرى سنة ١٧٨٣ . انتهى

فالفلاح كان يصبر لهذه العبادة ولم يخسر الجد في اثبات حقهِ القديم بالتملك على الارض وكان يظهر انهُ مسرور من حالتهِ على حسب ذوقهِ حيث كان يقول . ظهورنا واعناقنا هي لاسيادنا لكن الارض هي لنا . فكان يعرف ان الزام الفلاح بخدمة السيد هي ناتجة عن الزام السيد بخدمة القيصر . ولما خلص بطرس الاول في مدة حكمهِ القليل الشرفاء من خدمة الدولة الاجبارية ظن الفلاحون ان هذا الامر هو اصلاح اولي ولا بد من ان ينتج منهُ اصلاح ثانٍ وهو خلاص الفلاح من الخدمة ومن جرى ذلك نتجت اضطرابات سنة ١٧٦٢ ومن ثم ثورة سنة ١٧٧٣ حيث ان بطرس الثالث الكاذب ظهر انهُ موكل باتمام عمل الملك المتوفي وفي محاربة سنة ١٨١٢ ظن الفلاحون برهة ان نابليون الاول احضر لهم الحرية وكانت الحركة شديدة في مدة حرب القريم وكانت العبودية النقطة الضعيفة تماماً في روسيا . ولو وجد اذ ذاك مختلس لامكنهُ ان يقيم الحرب فيها

داخليًا كما كان في الخارج

ولنعد نظرنا في زمان الامبراطور اسكندر الاول فنرى عدة تجربات اجريت لاعتاق العبيد وكذلك نقولا الاول وقد نشر عدة اوامر تتعلق بهذا المعنى وهي في سنة ١٨٤٢ و ١٨٤٥ و ١٨٤٦ و ١٨٤٧ و ١٨٤٨ وقرر فيها حق اقتناء الاملاك في كل حياته عن الاهتمام باعتاق العبيد والتزم اخيرًا ان يسلم هذه الرغبة لابنه . انتهى

فبعد ان حضر اسكندر الثاني معاهدة باريس بقليل اي في اذار (مارث) سنة ١٨٥٦ اذاع في خطاب قدم في موسكو انه بجاماته عن ذاته لا يقصد تمامًا اطلاق حرية العبيد لكنه كان فعلاً يرغب في ان يوصلها الى اخرها ولذلك دخل من هذا الباب ليتوصل الى المطلوب بحكمة عجيبة فدعا اعيانه الامناء ليبحثوا عن الواسطة الوحيدة الموصلة لاجراء هذا المقصد فاظهر اصحاب الاملاك في بادي الامر ممانعة ونقضًا لهذا الامر وارتضى الامبرطور اذذاك باقامة جمعية وطنية في ٢ الى ١٤ كانون الثاني (جانفيه) سنة ١٨٥٧ لاصلاح حالة الفلاحين وتحقق ان هكذا مقصد لا يمكن ان ينتهي الاَّ باعزاز القوة الامبروطورة . وفي تلك السنة نفسها شرفاء حكومات كياف وفولبني وبودولي

الذين كانوا قد ضجروا كثيراً من المقاصد التى كان قصدها نقولا الاول حين وضع السجلات اشهروا عن ذواتهم انهم مستعدون لاعطاء الحرية لفلاحيهم وكان اشهارهم ذلك اما بقصد اظهار ضجرهم من الحاح الحكومات السابقة واللاحقة باخراج الفلاحين من ربقة طاعتهم اوتوهمهم ان هكذا عمل يلقي الحكومة في ضيق مالي . فاغتنم الامبراطور هذه الفرصة لان يمنح هذه المسألة حركة نهائية فامر بمنشور شرفاء الحكومات الثلاث الليطانية وان يهتموا بالعمل باطلاق العبيد وارسل بهذا المنشور و بتعليمات الوزراء التى كانت هي الابتدائية الى كل الحكام والجنرالين والقواد الموجودين في اقاليم المملكة يطلعهم بهِ على اراء شرفاء الحكومات الثلاث وانهم اعتقوا العبيد فساعده الحظ بان شرفاء حكومات بطرسبرج ونوفغورود واوريل اجابوا القيصر جواباً شجعهُ وزاد في رغبتهِ

وفضلاً عن ذلك فانهُ كان يزيد رغبة وهمة من مساعدة الجرائد التي كانت تلهج بهذا المعنى وتحرك القوم الى اتباع طرق الانسانية وتظهر النجاح الناتج عن اعتاق العبيد الذي ينالهُ اسيادهم عوضاً عن قيامهم تحت سلطان الخدمة الجبرية وقد قال المسيو والاَّس في احدى مطبوعاتهِ . لقد برهنت لنا جميع

اقسام العالم العلمي عن المقصد الحسن الذي ينتج عن اطلاق العبيد وقد قرر العلماء ان كل القبائح هي نتاج الاستعباد وانهُ لا يمكن احياء قوة العقل تحت رداءة مناخ العبودية واثبت المتشرعون ان لا اساس شرعي يثبت بالسلطة السائدة الموجودة في اصحاب الاملاك على فلاحيهم واوضح رجال الاقتصاد ان الشغل الحر والعمل الحر وكلما هو حرٌّ شرط لابد منهُ للنجاح الصناعي والتجاري واظهرت فلاسفة علماء التاريخ ان الاصلاح المنطقي ونقدم البلاد ونجاح الفكر العام تطلب بسرعة ابطال تلك البربرة وسلم الكتبة نفوسهم باميال غريزية لاحد لهـا نتعلق بالمحبة للجنس البشري المرتبط ببعضهِ للدفاع عن الضعيف والمظلوم . انتهى

ولم تبق المسالة منحصرة باعطاء الحرية للفلاح او لمنعهِ الحرية بل بالاراضي اذ وجب ان لا توضع تحت خطر اعظم فيبقى الحق بالتملك للسيد فيعود الفلاح مرة ثانية طلبًا للمعيشة ان يسقط تحت سلطة اقبح من السلطة الماضية فلاجل ان يمنع وقوع اخطار عظيمة مثل هذا ويحفظ المتمرمرين من السقوط ثانية في حجر العبودية وجب ان يعطي لهم حق التملك واقتناء الاملاك فقيام العامة الروسية وتقويتها واحياء حياتها من الاضمحلال كانت

امتن درع ضد الفقر . واشترك كثيرون من اصحاب الاملاك بتلك الحركة مؤملين ان ابطال العبودية يكون نافعًا للبلاد بحيث ينتج منهُ تقييد القوة القيصرية المطلقة فتكون لهم الحرية السياسية عوضًا عن عبيدهم وكثيرًا ما تكلموا عن قيام مجلس وطني لوضع الحالة الحاضرة في قيد موافق تشترك بهِ البلاد بالسلطة العالية

ولما رات الحكومة انها معضودة من كثير من اصحاب الميل الى حسم هذه المسالة وقد قدموا لها باوراق موقعة منهم رغبتهم في اتمام مقاصد الامبراطور امرت بتاليف الجمعيات وانضمامها الى واحدة لفحص الامر والنظر فيهِ فاجتمع ٤٦ لجنة مولفة من ١٣٣٦ نفس من اصحاب الاملاك وقد اجتمع هولاء للبحث بشان ٢٣ مليون من العبيد و ١٢٠ الف من اصحاب الاملاك وقد اتفق الجميع اي الست والاربعين لجنة كلمة واحدة وهي وجوب الحرية وابطال العبودية لكنها اختلفت من جهة تخصيص الاراضي وشروط الغرامة ولم تتفق قط وحينئذٍ جمع الامبراطور من جديد لجنة عالية مولفة من ١٢ نفس من الاعيان وحفظ لذاتهِ حق الرئاسة عليها غير ان هذه اللجنة ضادت جملة مرات مطالب الامبراطور الخيرية وقاومتها شديدًا واشترك معها عدد

من جمعيات الاقاليم . فاخذ الامبراطور يطوف في الاقاليم باثاً روح الحرية طالباً الى الشرفاء تقديم الخضوع لهذا المشروع مشوقاً اياهم الى عضده وقائلاً لهم . ان من الفضل والحكمة ان تبتدىء الاصـــلاحات من الاعلى وليس من الاوطى ولكي يتقلب على مقاومات اللجنة العالية الف لجنة كبرى ضم اليها الملك وعين لعضويتها الرجال الذين يثق بها انهم يخضعون كثيراً لمقصده الجديد

فلم ترتضِ هذه اللجنة ان تتفاوض على المواد المتقدمة من لجان الاقاليم لكنها بايعاز من الامبراطور الذي بث في رجالها روح مشربهِ وعين لها المبدأ الذي يطلبهُ بمدخل ومخرج مسالة الفلاحين سنت الشرائع من كل نوع وقامت بعملها تحت خطر كونها تثير ضدها غضب اصحاب الاملاك ذوي النفوذ الذين كانوا يتظاهرون بانهم رفعوا عنهم استحقاق ضحاياهم . والتزمت هذه اللجنة ان تمنح خلقاً زائداً اساسياً للاصلاح الحر وقررت بان اطلاق العبيد لايقع بالتدريج لكن يكون نتيجة للقانون سريعة بابطال الحق الاستعبادي وان يخطروتؤخذ الاحتياطات اللازمة لمنع قيامهِ باي صورة كانت تحت نفوذ السلطة السائدة وبواسطة القانون الحر يكون الحق للفلاح بالتملك اذ يدفع عن ذلك غرامة

عن املاكهِ وبسبب هذه المفاوضات تولد القانون الجديد المشهور الذي نشر في ١٩ شباط (ففريه) الى ٣ اذار (مارت) سنة ١٨٦١ ·

واصول القانون المذكور مخصرة بهذه البنود ·

اولاً · ان الفلاحين الذين بقوا الى حد ذاك الوقت متعلقين بالاراضي يكونون حائزين على كل الحقوق المختصة بالفلاحين الاحرار · ثانياً · ينال الفلاحون بواسطة ديون يعينها القانون التمتع بها وفضلاً عن ذلك يتمتعون بقسم من الاراضي كاف لتقديم واجباتهم نحو المملكة وهذا التمتع الثابت يمكن ان يصل الى التملك المطلق على الاراضي والاحراش بواسطة اعادة البيع · ثالثاً · على السادات ان تسمح للفلاحين بالاراضي التي كانوا الى ذاك الوقت يشغلونها ومع ذلك يقع التعديل على غرامة تلك الاراضي بين الزيادة والنقصان يعني ان النقصان يكون للارض السوداء والزيادة للارض المثمرة . رابعاً . على الحكومة ان تقيم بنوك ومحلات لقرض الفلاح وامداده ليتمكن حالاً من التخلص من السادات ويبقى فقط مديوناً للدولة. خامساً . ان الخدم الذين لم يكن لهم ارتباط بالاراضي يقبلون حريتهم الشخصية بنوع بسيط ويشرط عليهم فقط ان يخدموا ساداتهم الى مدة سنتين سادساً لاجل تدريب الفلاحين وتدبيرهم وتقسيم الاراضي وتعيين

مقادير الدين وشروط اعادة البيع وحفظ كل نوع يقال بهِ في
القانون بقيام قضاة موقتًا اي متوسطو الصلح وقد اظهر اكثر اولئك
القضاة صبرًا شريفًا وعدم تغرض وخلوص في الاعمال والمساعدة
لاتمام التصفية الحبية . واتخذ الفلاحون المتملصون من سلطة
الاعيان والامراء هيئة مديرية او بالحري تلك الفيئة التي هي عنصر
الهيئة الاجتماعية السلافية الروسية وقوة جديدة وحفظت فن نظام
البوليس القديم الذي كان ينسب للسيد على عبده ما جعلها
ان تقضي وتشرع بحرية في كل دعاوى الفلاحين على مقتضى
قانون الصقالبة القديم وبقيت الارض المبتاعة من الاسياد
تخص كل اعضاء المديرية وكان كل فلاح لا يملك الاَّ على
دائرتهِ والارض المتعلقة بها وتلك الاراضي مهيأة للاقتسام الوقتي
بين روساء العيال في القرى ولا يملكونها وحدهم بل يعهد اليهم
بتصريف محصولاتها وحيث ان القانون الذي لا يسمح بقسمة
نهائية قط في الاراضي العمومية الا برضى الطرفين كان يتعوق
نشرهُ او بالحري وجوده فتجمع المديريات المتخلصة من السلطة الى
هيئة محلية تسمى فولوست وتعين على محكمة الفولوست قبول
دعاوى العدلية وعين مجلس من الفولوست انيط بهِ ان يراقب
الفوائد العامة لكل القرى الداخلة فيهِ . ودعي ستاروست ناظر

المديرية وستار يمثنا مديراً للفولوست وعليهِ فيكون الفلاحون
قد حصلوا على حكومة محلية وانموذج فلاحي لكنهُ مطلق وانزوى
السيد القديم الى وحده عندما راى ان ملكهُ قد نقسم الى اراضٍ
للاسياد واراضٍ للفلاحين وتميزت فوائدهُ عن فوائد الفلاحين
ولم يعد يسمح لهُ ان يتداخل معهم لا بالانتخاب ولا بملكيتهم ولا
عدليتهم

واعظم قياسٍ وجد باخلاق الحرية كان من المديرية
القديمة بين الاسياد والفلاحين و وجوب ضحايـــا عظيمة على
الطرفين . اذ كان اصحاب الاملاك قد التزموا ان يتنازلوا
عن حقوق السلطة والسيادة وان يتخلوا عن قسم من اراضيها
وكذلك الفلاح يتخلص من الرق التزم ان يشتري تلك الاراضي
نفسها مع انها كانت مسكنهُ ومنشأهُ وقد احياها وورث القيام بها
من اب وجد وما قبل وقد سقيت من عرق وجوهم واجسادهم
سنوناً عديدة لا يكاد يعرف مقدارها على ان الاراضي التي بقيت
للسادات تعتبر كانها ملكهم لانهم حرثوها في كل اوقات الحرية
وخدموها . فالقسمة التي وضعها القانون ظهرت لهم كاختلاس
ومن ذلك كانوا يظهرون غير راضين وقاموا في عناد مجالس
(متوسطي الصلح) وطلبوا رفع الالزامات الموضوعة في القانون

وطلبوا اليهِ المفاوضة مع الاسياد لاجل اعادة بدل المشترى من الارض وتصور الفلاحون ان الشرفاء والمتوظفين قد غشوا اعلان الامبراطور او بالحري غيروا بنداً منهُ او ان لابد من صدور امر اخر مزمع ان ينشر وعليهِ فقد ظهر هيجان غريب انتشر الى جملة اقاليم . فلجأت حينئذٍ الحكومة الى استعمال القوة العسكرية وفي ثلاث مرات اضطر الجيش الى انفاذ تلك القوة بالسلاح . ففي حكومة كازان نهض نحو عشرة الاف رجل بايعاز الفلاح انطون بيتروف الذي اعلن لهم وجوب اتخاذ الحرية الحقيقية على خلاف ما اتخذوها فاهلك الجيش منهم مائة رجل وقبض على الرئيس نفسهِ وقتل باطلاق الرصاص . فيظهر ان اعتاق الفلاحين من العبودية عمل خيري عظيم وسبب اصلاح ضروري توجب على الجيل الحاضر ان يدفع ثمنهُ لكن نتائجهُ الحسنة والسعيدة ستكون للاجيال التابعة ولا ريب ان الفلاحين الروسيين هم مديونون بهذا العتق اولاً لارادة الامبراطور ومقاصده الحسنة حيث فاز بالنجاح وقام بعمل استغرق كثيراً من مدات وازمان اسلافهِ بدون الوصول الى النتيجة التي اوصلهم اليها وثانياً لاجتهادات الكراندوق قسطنطين وللدوقة هيلانة الكريمة التي في سنة ١٨٥٩ جعلت ذاتها قدوة

لغيرها من الشرفاء فاعتقت فلاحيها وللوطني روستوفتسوف دي بانين وزير العدلية ونقولا ميليوتين والبرنس تشركاسكي وبوري ساماربن اعضاء المجلس الامبراطوري وكوشولياف وسولوفياف وجوكوفسكي ودوموتوفيتش ولقسم من الشرفاء اصحاب الاملاك حيث انهم وهبوا لفلاحيهم من الاراضي اكثر مما عينه عليهم القانون

وتعويضاً لهذه الضحايا التي ضحاها الشرفاء في روسيا طلبوا اصلاحات جديدة وان يكن لهم من الحرية السياسية ما يجعلهم ان يتسلوا عن خسائرهم فمنحوا اقامة (الدوما) اعني التدبير الموافق لقوانين المملكة وتم لهم اجراء اصلاحات كثيرة عظيمة في عدلية العواصم وحكومات الاقاليم

واما من خصوص المواد الشرعية فاوامر سنة ١٨٦٢ وسنة ١٨٦٥ جلبت البدع المكرسة باختبار الممالك الغربية. وتبادلت المحادثات والاختلافات والتناقض بين علماء القوانين والباحثين واخذ النظام مجرى حسناً واقيمت ماموريات التفتيش وقضاة الجزاء والمستنطقين وتالفت اعضاء مجالس الولايات من القصبات وخصص استئناف الدعاوى بدائرة عدلية تشبه دوائر استئناف الغرب ولكنها لا ترى في حكم القضاة الاوائل

الاَّ عندما يكون القانون غير موضح فيما ينطبق على تلك الدعوى والرئيس المعهد اليهِ بنقض الدعوى اوردها هو اخر ما ينتهي اليهِ مجرى الدعوى وذلك يوافق اجراءات بعض افكار فرنسوية تمامًا ومحاكم الصلح تكون احكامها في البداية · فقاضي الصلح المنتخب من اصحاب الاملاك بالقطيعات يولف مجلس صلح لاستماع تلك الدعاوى الطفيفة ويقيم جوق بوليس بسيط وحقوقهُ في المعاملات اوسع من حقوق امثالهِ في فرنسا بحيث ينظر في الاعمال المدنية التي تتجاوز خمسمائة روبل والوقوعات التي لا تستحق الجزاء النقدي لاكثر من ثلاثمائة روبل او الحبس لاكثر من سنة. ولا تستأنف احكامهُ الاَّ اذا كانت الدعوى على اكثر من ثلاثين روبل في الدعاوي المدنية وخمسة عشر روبل او حبس ثلاثة ايام في الوقوعات وبهذه الحالة لا يكون الاستئناف مثلما عند الفرنسويين اي الى مجلس الولاية بل الى جمعية القضاة الصلحية بالولاية (مجلس الصلح) الذي لا يقدر على ابطال حكمهِ الاَّ الرئيس وحده

فالاقاليم او الحكومات الروسية تقسم الى قصبات وفي كل منها ينفذ قانون سنة ١٨٦٤ واقيم مجلس قصبة يولف من نواب تنتخب في كل ثلاث سنوات تحت شروط محدودة من رتب

المملكة الثلاث وهي اصحاب الاملاك والمديريات والمدن · وهذا المجلس يلتئم على الاقل في كل سنة مرة · وفي مدة تعطيلهِ يقوم مقامهُ جمعية موقتة لاجراء العمل و وظيفة هذا المجلس اي مجلس القصبة ان ينظر في مسائل الطرق والمعابر والجسور واصلاحها جيداً وان يلاحظ التربية والاعمال الباطلة وان يحقق المواسم ويقرر الاستعدادات اللازمة لتجنب القحط · ويولف مجلس عام فوق كل القصبات ويعطى صوتاً بميزانية البلاد في الاقاليم فهكذا كان بالاجمال انموذج الحكومات المحلية التي حكمها الوقتي اصلح شان روسيا

والقصاصات الجسدية التي كانت تخجل روسيا منعت من المجالس ومن الجيش ولم يبق لها وجود الا في بعض مجالس الفلاحين حيث بسبب ارتباطها بالعوائد القديمة بقيت احياناً تحكم بضرب الجانين لكن اخف من الاول · وقد تلطف الجزاء وأطلقت السنة الجرائد وخيرت اما بالسكوت او بالحرية في الظهور تحت المسئولية اذا تطرفت في اعمالها وسلكت مسلكاً مضراً وهيأ لها النظام المتخذ في الحكومة الفرنساوية الثانية . وهو بعد اخطار الجريدة ثلاث مرات تعطل او توقف موقتاً · فالمطبوعات في بطرسبرج وفي مسكو بسبب الحرية والقصاص

صارت بحالة حسنت معتدلة ومثلها مطبوعات الاقاليم واستثنت من هذه الحرية مطبوعات فارسوفيا عاصمة بولونيا

وفي سنة ١٨٥٩ بلغ دخل المملكة ٥٥٩ مليون روبل ومصاريفها ٥٥٣ مليون روبل اي ان دخلها زاد نحو ستة ملايين روبل ومما استحسنهُ القيصر وتقرر في العقول انهُ بازدياد مالية البلاد تزداد قوتها وتحسن احوالها . وقد اكتسب الغرباء كل الحقوق المدنية التي وهبت لابناء الوطن او بالحري التي كانت تتمتع بها في بلاد الاجانب وقلبت الحواجز والموانع التي كان وضعها نقولا الاول بين حكومته واوربا وسمح للاسرائيليين ان ينتقلوا من بولونيا ومن البلاد الغربية الى داخل المملكة والى كل النواحي فيها بدون معارضة وعفيت المدارس الكلية من الاخرجة التي كان ضربها عليها نقولا الاول ورفع الامر بتحديد عدد الطلبة واقيمت بنوك وصيارف عديدة

ثورة بولونيا

ولما جلس الامبراطور اسكندر الثاني تعلقت امال البولونيين بهِ وتوصلت هذه الامال الى حد الحصول على اصلاح قوانين

البلاد وانضمام اقليم ليطانيا بالمملكة وزاد هذه الامال تيقظ
ايطاليا ونهوضها الى الرجوع على ما كانت عليه وتنازل
امبراطور النمسا عن هونغريا واملوا ان يحصلوا على مثل ذلك
من الامبراطور اسكندر الجديد واجتماع الملوك الثلاثة في فارسوفيا
في تشرين من سنة ١٨٦٠ انتج نوعاً من الغيظ في العقول
وبدأت تنمو الفتن صادرة من الجمعيات البولونية من خارج
البلاد وكان كثيرون منهم يعتمدون على مساعدة اسكندر الثاني
لاعادة انضمام بلادهم واخرون كانوا يريدن تحريرها من روسيا
وعليه وجد في بولونيا وفي جمعيات الخارج حزبان احدهما كان
يريد ان يكون نصيب بولونيا كنصيب ايطاليا اي ارجاع المملكة
الى حالها والاخر كان يرضى ان يكون نصيبهم كنصيب هونغريا
وكان في بولونيا كما في روسيا قد نظر في مسألة اعتاق الفلاحين
لكن في فارسوفيا لم تنل هذه المسألة الشروط التي كانت في
موسكو وكانت الحرية الشخصية قد انبثت في الاهالي منذ زمان
نبليون الاول عند انشاء الدوقية العظمى الا انهم لما كانوا لم
يعطوا الحق بتملك الاراضي بقيوا عائشين كمرابعين على اراضي
السادات يدفعون المطلوب منهم اما دراهم واما سخرة اي الذي لا يريد
ان يدفع دراهم يشتغل ايام معينة في الاراضي عن خراجه وكان

السماح بدفع الدراهم اصلاح يتمكن بهِ الانسان من ان يشتري نفسهُ من التسخير بحسب ارادتهِ وكان يسمح ايضاً للمهاجرين ان يشتروا املاكاً ويدفعوا اقساطاً معينة في كل سنة من ثمن المشترى ويضع تحت سلطتهم وسائط للاستدانة · ومن جرى قيام شراكة حراثية تحت عناية الكونت اندري زاموسكي استفادت الطائفة البولونية وعليهِ تنبهت الحكومة الروسية وتاكد الاعيان وشرفاء البلاد اطلاق حرية الفلاحين . فعملت الحكومة التي كان ينوب عنها موكهانوف على تعويق اعمال تلك الشركة ومنعتها من التداخل بمسألة المشترى وحددت حقوقها ببدل قانون السخرة ودفع خراج

وهذا الجدال والنزاع بين شركة الحراثة والحكومة زاد في الهيجان الذي كان قد بدأ في فارسوفيا وفي ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٦٠ بمناسبة عيد الثورة عن الثلاثين سنة اي التي وقعت في سنة ١٨٣٠ حدث بالكنائس والازقة في العاصمة تظاهرات وطنية طائفية ودينية ووزعت صور كوسيذكو وصور كيلينيسكي وفي ٢٥ شباط (ففريه) سنة ١٨٦٠ يوم عيد معركة كروشوف اجتمعت شركة الحراثة المفاوضة بشان عرض حال يقدم الى الامبراطور يطلب اليهِ فيهِ الاصلاح · ومن ثم بدأت

تلتئم الاجتماعات وتنشر الاغاني والقصائد المثيرة في الازقة وفي اليوم السابع والعشرين بسبب تذكار محزن وهو تذكار ذبائح الثورة السابقة ظهرت حوادث جديدة موءذنة ببداية الشر وقتل خمسة اشخاص وجرح عشرة . فتاثر البرنس غورتشاكف نائب الملك في بولونيا من هذه الحوادث المستغربة التي بها الشعب المجرد من السلاح التزم ان يحتمل اطلاق الرصاص عليهِ ببسالة دون ان يرضى بان ينقطع عن انشاد الاغاني المهيجة واتفق لارجاع السلام مع زاموليسكي وتسكين الهيجان وطيف في العرضحال في كل فارسوفيا ووقع عليهِ من جميعهم تقريباً . ومشى بهدو ونحو مائة الف نفس في جنازة ذبيحة ٢٧ شباط (ففريه)

واما الامبراطور اسكندر الثاني او بالحري قيصر الاصلاح الروسي وينبوع الرحمة فقد وهب بولونيا قسماً من عنايتهِ فامر في منشور ٢٦ اذار (مارت) بانشاء مجلس حكومات بالمملكة لادارة المعارف العمومية والاديان ومجالس انتخابية بكل حكومة وبكل قصبة ومجالس بلدية في فارسوفيا وفي بلاد المملكة الخاصة وسمي الماركيز فياليبوسكي مديراً للمعارف العمومية والاديان وهو من الحزب الذي كان يريد قيام بولونيا بواسطة القيصر . فهذه المنح كانت تجذب الحزب الطالب الاصلاح . ولسوء الحظ هدمت

نتيجتها بواسطة انحلال الشركة الحراثية بغتة حيث كان اكثر الشعب قد وضع عليها رجاءهُ وزاد التظاهر بالعصيان وفي ٧ نيسان اجتمع الشعب في محل يدعى زاموك (قصر وكيل الملك) يطلب استرجاع امر انحلال الشركة . وبسبب تهديد الجيوش تفرقوا بعد ذاك التظاهر وفي ٨ منهُ عادوا فرجعوا باكثر عدد واشد هيجان طالبين بصياحهم اصلاحاً وطنياً . وقام في وسط تلك الجموع سائق عربة واسمعهم بتفيره بلحن طوائف دومبروفسكي هذه الجملة (كلاً كلاً لا تهلك بولونيا) فالجمع المختلط من نساء واولاد كان يظهر مقاومة شديدة وقوة جاش لم تقدر الفرسان ان تنتصر عليه والتزم الجيش حينئذٍ الى استعمال الاسلحة وبسبب خمسة عشر طلق منها انطرح تحت اقدام صورة العذراء نحو مائتي قتيل وعدد غفير من المجاريح . وبقي الشعب بعد ذلك بايام لم يظهر الا بثياب الحداد ودامت هذه الحالة المقلقة جملة اشهر وفي ١٠ تشرين الاول (اوكطوبر) اقيم في هودليفيو عند حدود ليطانيا وبولونيا تذكاران الواحد بولوني والثاني ليطاني لاتحاد البلدين . فكرامة القائد الروسي سمحت لهذا العيد بان يتم بدون اهراق دم .

وحدث بعض ترضية من جهة الحكومة عندما سمى القيصر

وكيلاً للملك الكونت لامبير واعهد اليهِ ان يجري الاصلاحات المامور بها في اذار (مارث) سنة ١٨٦١ لكن نتيجة تسميتهِ المنتظرة انعكست بواسطة احاطتهِ مرة باناس خاضعين لسياسة الاعضاء فالحزب المضاد لم يترك اهتمامه ففي ١٥ تشرين اول بمثابة عيد كوسيذكو السنوي اجتمع الشعب في كنائس فارسوفيا . فاحاطت الحكومة الكنائس بفرق ولم تتنبا انهم لخوفهم من القوة يرفضون الخروج من الكنائس وانها ستلتزم الى اخراجهم بالقوة والحاصل بعد حصار غير مفيد دام طول النهار والليل الى الساعة الرابعة صباحاً التزمت حينئذٍ القوة المسلحة ان تدخل الكنيسة ونفود الف شخص الى القلعـــة فتشكى الكونت لامير الى الجنرال جرستاستروبغ وبعد منازعة وجدال شديد الهب دماغ الاخير وطلب لامير . فناب عنهُ الكونت لودرس وافتتح زمنهُ بقصاصات سرية فنفى عدداً من ذوي السلطة في فارسوفيا وجرب الدوق قسطنطين والي بولونيا في ٨ حزيران (جون) سنة ١٨٦٢ المصالحة مع المأيوسين فلم يفز بالمرغوب وسمي الرئيس فيالبيبولسكي احد الساعين بالعرضحال رئيساً للسلطة المدنية وارتكب بولونيو فارسوفيا خطاءً عظيماً بحيث اقلقوا الحكومة الروسية باقاليم نعتبرها روسيا محطة وكجزءٍ حي من المملكة وذلك ان اصحاب

الاملاك لم يكتفوا بان طلبوا في العرضحال الذي قدموه الى الكراندوق قسطنطين ان تكون حكومتهم بولونية وذلك عين العدل ومن حقوقهم لكنهم طلبوا بان تجتمع الاراضي الليطانية مع مملكتهم ومثلهم طلب اعيان بودولي ان تضم الى اقليمهم والى ليفونيا واوكرينا فهذه الغلطات والتطرفات في الطلب اوجبت نفي زاموليسكي وتوقيف المتظاهرين وعليه اضحت كل التجارب عديمة النفع واعقب ذلك ضربة شديدة عجلت المصيبة ففي ليلة ١٥ كانون الثاني (جانفيه) سنة ١٨٦٣ لمت الحكومة العساكر بنوع قاس.

فكان ان المطلوبين الى السلك العسكري الهاربين نواة الفرقة الاولى للعصاة فظهروا اولاً في بولونيا وفي سياروثك ولكن الحرب مع البولونيين لم تكن قادرة ان تقع على هيئتها القوية التي كانت لها منذ سنة ١٧٩٤ او سنة ١٨٣١ لان الجيوش البولونية التي كانت تقوم تجاه الجيوش الروسية قد ارفضت ولم يعد يولف جيش بولوني ولهذا كانت الحرب منحصرة مع فيئات لا تقدر تقف امام الروسيين ولا في محل واحد ولكنهم تفرقوا بالاحراش الغضة مختفين هاربين من جهة ليظهروا في جهة ثانية بعيدة يقومون بمناوشاة ضعيفة اهمها كانت مناوشة

فانغاروف في ٦ شباط سنة ١٨٦٣ وقد ارتفع واشتهر كثيرون من روساء اولئك العصاة منهم لئون وفرانكوفسكي وسيجيموند وباولفسكي وكاسمير وبوغدانوفيتش ومبالانسكي والباسل بوساك هوك الذي سقط فيما بعد تحت العلم الفرنسوي اثناء محاربات بوركونية والفرنسويون روشبرون وبلانكاهم وماداموازل رستوفواجوف وسياراكوفسكي من اركان الحرب بالجيش الروسي سابقاً وقد سقط في ايطانيا وشنق وتزاشوفسكي الذي شنق بسهل بلوتك والراهب المتجند ماثكيافيتش ابن المورخ ليليفال ومار يان لانجيافيتش الذي دعي حالاً بالمهدي ولكنهُ بعد معاركات ١٧ و١٨ و١٩ اذار طرح الى غاليسيا وحجر عليهِ النمسويون ونادت الجمعية السرية الثائرة او بالحري الحكومة البوليونية الفلاحين للاشتراك بالحرية والملك

فكل هذه الاعمال كانت كافية لاهاجة غضب الروسيين فعاملوا المدن والقرى المشتركة بالذنب والعصيان معاملة صارمة وضربت قرية ايبياني وقتلوا بالرصاص كل الروساء المقبوض عليهم والسلاح بايديهم وشنق كثيرون وافاد الجنرال مورافياف انهُ ما من نفع في ابقاء الاسارى ونفى فيلانسكي الى داخلية روسيا قصاصاً لهُ على رسالة غير مرضية بعث بها الى الامبراطور

فتحرك لذلك الخاطر الاوروبي وفي ٥ كانون الثاني سنة ١٨٦٣ خطب بيلولت الوزير الفرنسوي على منبر الفرقة القضائية في هذا الشان لانما تلك التهيجات المحركة للاحساسات التي مهما كانت اجتهاداتها القادرة عظيمة لا تقدران ان تاتى الا بمصائب جديدة وسلم الثائرين الى حلم الامبراطور اسكندر وحينئذٍ اعتمدت الدول وهي فرنسا وانكلترا والنمسا على المداخلة السياسية والزمت البقية الموقعة على معاهدة فينا ان تشترك باجتهاد في مخابرة روسيا وارسلت الى حكومة بطرسبرج تقارير نيسان سنة ١٨٦٣ مآلها انها تدعو الحكومة الروسية الى وضع حدٍ بواسطة سياسة صلحية للحركات الزمنية البولونية وفي ١٧ حزيران (جون) شددت الثلاث دول طلبها وقدمت لها اعلاناً يشتمل على المواد الاتية . اولاً العفو العام . ثانياً . اقامة هيئة وطنية بولونية . ثالثاً ان تدعى رجال بولونيا للوظائف العمومية . رابعاً ان يحذف امر التقييد الموضوع على المذهب الكاثوليكي . خامساً ان تكون اللغة البولونية هي اللغة الرسمية في دوائر الحكومة والعدلية والتعليم . سادساً ان نوضع قاعدة قانونية عادلة لجميع العساكر

فهذه المداخلة من الدول الثلاث الغربية لم تقدر ان تسند

بالقوة ورفضت بواسطة تقارير البرنس كورتشاكوف مستشار المملكة . وطلب القيام بمفاوضة اوربية فرفض ايضاً وحينئذٍ وجدت اوربا نفسها ضعيفة القوة في هذه المسألة وانها غير قادرة ان تفتكر بحرب عمومية ضد روسيا مرة ثانية بعد حرب القريم والتزم نابليون الثالث ان يتعزى من نفسهِ بخطاب القاه على منبره اظهر بهِ ان معاهدة سنة ١٨١٥ قد داستها الارجل في فارسوفيا . وسلكت بروسيا مسلك الحكمة فعقدت اتفاقاً في ٨ (ففريه) سنة ١٨٦٣ مع الروسية مآله وجوب حصر التظاهرات البولونية

فهذه الثورة كلفت بولونيا كثيراً والقتها في حجر الضعف والذل فما كان باقٍ لها من الحرية اضمحل ولم تعد المملكة الا اسماً فقط حيث قسمت الى عشر حكومات في سنة ١٨٦٦ وقام مقام اللغة البولونية اللغة الروسية في كل الدوائر والفروع العامة . وصارت كلية فارسوفيا العالية كلية روسية والتعليم الابتدائي والقانوي على طريقة تحتم بابطال الاميال الوطنية وخسرت بولونيا نظامها وكل امل بالنجاح . ولما كانت الحكومة الروسية قد نسبت هذه الثورة للاعيان والشرفاء نشرت حمايتها على الفلاحين وسمحت لهم بحقوق التملك تماماً والتصرف بكل حرية في الاراضي التي كانوا

يشتغلون بها . وفي ١٠ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٨٦٥ جعل بيع الاملاك المضبوطة في روسيا الزاميًا

وبالعكس نظرت فنلاندا الى تحقيق كل امتيازاتها . وفي سنة ١٨٦٣ طلب اسكندر الثاني اجتماع مجلس الدوقية ثانيًا حيث كان قد مسك منذ اضافتها للمملكة فلم يقلق لذلك اعيان الالمان في الاقاليم البلطيكية لكونهم اكثر طاعة واحكم سياسة من البولونيين . فكلية دوربا بقيت المانية لكن اخذ بعض احتياطات لحماية لغة وديانة المملكة من اللغة الالمانية والديانة البروتستانية . ولم يقع اقل تغيير من جرى مطاليب يوري ساماربن ابن احد الصقالبة في كتابهِ المسمى حدود روسيا الذي تكلم بهِ بجرية وحرارة عجيبتين وقد ضادهُ في ذلك الكتبة شيرن وويلهلم وفون بوك وجيليس ايكار . ولا تحركت من جرى ذلك الخواطر في ليفونيا واستونيا وكورلاندا

انتباه الخواطر . نجاح مادي . قانون عسكري

وكانت الخواطر في روسيا لا تستكن وهي في حجر العبودية فكيف الان وقد تخلصت من تحت ذاك النير الثقيل ونالت

الحرية في الاعمال والافكار فبسبب اضطرابات بولونيا اخذ الهيجان في روسيا ان يبتدأ وظهر انهُ يشترك بالهيجان البولوني . وقد تظاهر طلبة الكليات الروسية بما يثير الخواطر من جرى الاحتفال بالاعياد القديمة التي كانت تقام في فارسوفيا وفي كازان عند خدمة اندري بانروف الفلاح الثائر . فاخذت بعض الاحتياطات ضد الكليات المذكورة . وبداعي زيادة مصروف الدروس في كليات الاقاليم ومنع المفاوضات في الاجتماعات والمتنزهات والمكاتب ومفاوضة الطلبة ايضاً الاكثر اهمية حدث اضطراب قاد الحكومة الى قفل الكليات بالعاصمتين المذكورتين . ومن ثم تقدمت استدعاءات كثيرة من الجمعيات المولفة لمثل هذه الغاية . وقد طلبت جمعية تفر في سنة ١٨٦٢ ابطال الامتيازات واقامة جمعية وطنية وجرت المفاوضة في كلية تولا على انضمام الحكومات العامة . وبسبب حوادث بولونيا ايضاً تناقضت الافكار في روسيا . فمسيو كاتكوف في جريدة موسكو اهتم بايقاظ الراي فحرك حاسة الطائفة الروسية ضد مطاليب بولونيا وحتمت عليها بانهُ لم يبقَ لها الا ان تتحد باجتهاداتها مع روسيا وان تشرب من الاصول الروسية التي نضجت وتنضج في كامل الشعب الروسي السياسي . وطلب القيام بالتظاهرات لشرف فورافيناف ونسبت

الحريفات العديدة في ليطانيا سنة ١٨٦٢ الى مرسلين بولونيين. ولما كان القيصر قد وضع ذاتهُ للمحاماة عن الطائفة الروسية اكتسبت المطبوعات مقداراً اعظيماً من الحرية لم تكن تنتظرهُ حتى انهُ كان يكتب ضد الوزراء فكان رجل الحالة الجديدة كما كان هرتزن رجل الحركة الحرة في مخاصمات المملكة واقيم بتجربتين خطيرتين ضد حيـــاة ذاك الامبراطور العظيم الواحدة من كاراكوزوف في جنينة الصيف سنه ١٨٦٦ تحت اسم الثائرين الروسيين والثانية تجربة بيريزوفسكي في باريس سنة ١٨٦٧ تحت اسم الثائرين البولونيين وبكلا الحادثتين حفظت يد العناية حياة القيصر وعليهِ ظهر الى اي نقطة وصل الاضطراب وتحريك الخواطر. وليس من الضروري ان نزيد الشرح بتقلبات الوزارة التي كانت تنجح تارة وتخبط اخرى ومع كل ذلك لم تفتر همة القيصر عن السعي في اتمام نجاح البلاد المادية وتقدمها من جهة الصنائع ونحوها ومن الواجب ان نذكر البعض من النتائج المكتسبة ليظهر كم كان سريعاً وناضجاً نمو روسيا العجيب

ولم يكن قد امتد في روسيا سابقاً من الخطوط الحديدية الَّا نحو ٣٥٠ كيلومتراً فقط واما في ذاك اليوم فكانت الخطوط الروسية قد بلغت مبلغاً عظيماً وهي ٥٢ طريقاً تتالف من ٢٢٠٠٠

افرست وهذه تقريباً تضم كل مدن روسية اوربا المهمة وتصل من جهة الشمال الى هلسنغفورس ونامرسغورس والى فولوغدا ومن جهة الشرق الى نيجني نوفغورود وساراتوف وسامارا مع خط يتصل الى حد اورانبرغ ومن جهة الجنوب الى كيشانف واودسا وكرسون وسيبستابول وتاغاروغ وفلاديكافكاز. وكانت تعامل عواصم الغرب بواسطة خطوط من بطرسبرج الى بارلين ومن فارسوفيا الى بارين ومن فارسوفيا الى فينا ومن كيشانف الى ياسي . وخط القوقاس يربط بوتي عند البحر الاسود بتفليس وبلاد الكرج وباكو على ومثلها الطريق الحديدية السيبيرية وتتصل طريق ترانسقوقاس الى اسكاباد وكان الاربعة ابحر والبحيرات والانهر العظيمة كلها مملوءة من المراكب التجارية التي لا تحصى والتلغرافات والبوسطات ربطت المملكة الروسية مع العالم بكماله

واما الصناعة فقد تقدمت احسن تقدم وقد كتب جديداً الموسيو باري يقول ان الشعب يتحرك للاعمال بالمعامل العديدة والروسيون هم ذوو استعداد لكل نوع من الصنائع وقد اخبرني رجل انكليزي صاحب معمل ورق قد دهشت من وجوده في وسط جبال اورال . انه ينبغي في انكلترا ان يقيم الرجل عدة

سنوات يتعلم العمل في معمل الورق جيداً لكن في روسيا يتعلم
الرجل بثلاثة اشهر ما يتعلمهُ الانكليزي بثلاث سنوات . انتهى .
والمعامل التي تقدمت بالاكثر هي معامل القطن وقد بلغت
نحو ٣٠٠٠ معمل ومعامل الحرير والمعادن والفولاذ الخ . واقيمت
بنوك كثيرة حتى في جهات بعيدة جداً عن كرسي المملكة

وكانت تتشوق اكثر مدن اوربا على مثل التعليم
الابتدائي لان روسيا التي فيها ٩ او ١٠ بالمائة من اصحاب
المعارف تعلو كثيراً عن النمسا التي تبلغ ٢٩ في المائة وفرنسا
التي تبلغ ٧٧ بالمائة والفضل في ذلك لاجتهادات وزارة المعارف
العمومية الآن البذرة في المدارس الحربية كانت تنبت وتنمو
بنجاح بطيء لكنهُ نافع واكثر التعليم الابتدائي في بولونيا لسبب
اجتهادات الحكومات في الاقاليم البلطيكية وفي فنلاندا بسبب
التعاليم البروتستانتي وفي روسيا الوسطى بسبب النفوذ الصناعي
ففي سنة ١٨٧٧ تقدم الى جلالة الامبراطور تعديلاً عاماً دلَّ
على وجود ٢٥٠٧٧ مدرسة يدرس بها ١٠٢٦٨٥١ تلميذاً و٤٢٤
مدرسة عالية يدرس بها ٢٧٨٣٠ تلميذاً و٦١ مدرسة خصوصية
يتعلم بها الاشخاص الذين يستعدون لان يكونوا معلمين (ما هذا
التقدم السريع)

وفي اول كانون الثاني (جانفيه) سنة ١٨٧٧ وجد للعلوم الرياضية البدنية ١٢٩ مدرسة (جيمناستيك) و٦٩ بروجيمناستيك يتعلم بها ٥٠٧٠١ تلميذ وقانون ١٢ ايار (مايس) سنة ١٨٧٣ حكم على المدارس الحنيفية بتعليم الصناعة في روسيا

وفي كانون الثاني ايضاً سنة ١٨٧٧ حوت الكليات الثمان في بطرسبرج وموسكو وكاراكوف وقازان وكياف ودوربات واودسا الموسسة سنة ١٨٦٤ وفارسوفيا الموسسة سنة ١٨٦٩ مقدار ٥٦٣٩ طالب علم و٥٧٩ سامع احرار

واما مدارس بنات الاعيان التي افتتحت فى زمان كاترينا الثانية وتحسنت في زمن ماريا فيودوروفنا امرأة بولس الاول اكتسبت رونقاً بهجاً واتخذت خطة جديدة وصارت تقبل البنات الصبيات من كل رتب الشعب وقد كانت ايضاً مدارس لعلم الجيمناستيك والبروجيمناستيك يتعلمها البنات لاجل رياضة الاجسام وقد افتتحت تحت انظار الامبراطورة ماريا على مصاريف القسم الرابع من الدائرة الامبراطورية وعددها جميعها ٢٦ مدرسة ٦ منها في بطرسبرج و٥ في موسكو و١٥ في الاقاليم وقد احدثت وزارة المعارف سنة ١٨٧١ على نفس هذا الانموذج ٦٨ مدرسة جيمناستيكية و١٥٢ مدرسة بروجيمناستيكية

وفيها جميعها ٢٤٨٧٨ تلميذة · فلم يرَ ولا باحدى جهات اوربا
انهُ اعطي اتساع بهذا المقدار لتعليم الصبايا ولافتح لهن ايضاً بجهة
من الجهات باب سهل لهن نيل العلوم المؤدية الى استعمال الحرية
والنظر في المصالح بالبوسطات والتلغرافات وفي نفس الحكومة
وغيرها · وفى سنة 1870 دخل ١٦٩ طالبة في مصاف دارسي
الطب والجراحة في كلية بطرسبرج

واما الجرائد فقد اكتسبت حالة حسنة جداً وزادت
زيادة مهمة لم يسمع بمثلها قبل حرب القريم فكان عددها ٤٧٢
جريدة منها ٢٧٧ تنشر باللغة الروسية واعظم هذه الجرائد تنشر
في بطرسبرج وهي جريدة (الغولوس) المشهورة التي هي في
اول الجرائد الروسية وجريدة (بطرسبرج) وجريدة (البورسا)
وهذه محبة وميالة لفرنسا ولا سيما في حرب سنة ١٨٧٠ و١٨٧١
مع المانيا وجريدة (العالم الروسي) التي قامت بمناظرات
ومجادلات مفيدة نافعة مع جريدة (لينفاليد) و (العصر الجديد)
الخاضع لفوائد الصقالبة · وفي مسكو الجريدة (دي موسكو) التي
دخلت سنة ١٨٦٣ تحت ادارة الرجل الغيور كاتكوف
والجريدة المفيدة العمومية وهي (رسول اوربا) وهذه مختصة
بالمسيو ستازيوليفيتش و (الرسول الروسي) المختص ايضاً

بالمسيو كاتكوف و (ابن البلد) و (العمل) وكثير غير هذه من الجرائد السياسية فضلاً عن الجرائد العلمية والتاريخية

والزمن الحالي هو زمن الخصب والنمو للنتائج العلمية فكانت تولف الكتب النافعة المفيدة التاريخية بعضها بصفة قصص تاتي لذيذة ونافعة للتهذيب الانساني بما لا يسعنا المقام بان نذكرها لكثرتها ولكن نذكر بعض من اشتهر من المورخين فمنهم بوغودين وكتابة (روسيا الى حد الغارات التتارية) وكوستوماروف وتاليفة (مباحث تاريخية وتاريخ سقوط بولونيا وتاريخ روسيا) وسولوفياف وتاليفة ٢٦ مجلد (تاريخ روسيا الى حد زمن كاترينا الثانية) وايلوفايسكي وكتابة (اصول التاريخ الروسي ومجمع غردنو) واوستريالوف (تاريخ بطرس الاكبر) وزابيالين (حياة القياصرة والقيصرات والشعب الروسي المحروم) وبوغدانو فيتش (تاريخ اسكندر الاول وتاريخ حرب الشرق) وميليوتين (محاربة سنة ١٧٩٩) وغاليستين (تاريخ عسكري عمومي) وبيكارسكي (العلوم والمعارف في زمن بطرس الاكبر) وبيبين (هيجان الافكار حين حكم اسكندر الاول) وكوفالفسكي ودوبوف وكورف (زمن اسكندر الاول) والخواجات سريزنفيسكي وافاناسياف وريبيكوف وكيريافسكي وبزسونوف

وهيلغردينغ واورست ميلاروبوسليف جمعوا والفوا في علم البيان ونحوه

ولم تكن العلوم الصناعية اقل نجاحًا من المعارف والاداب فقد اتسعت اتساعًا كافيًا وتقدمت كثيرًا والف فيها كثيرون منهم تشابكوفسكي وسيـاروف ودورغوميجسكي والقروي ايفازوفسكي واشتهر بتصوير الهيئات نوربينين زارانكو وكارلاموف وبتصوير الاشكال والرسوم التاريخية ساميغرادسكي وغي وفلافيتسكي وسترانبرغ وفيريشتشاغريف ورييين وماكوفسكي وغيرهم واشتهر بالنقش انتاكوتسكي وكامانسكي وبمانيف وقد بعد حيث هولاء وفي سنة ١٨٦٢ قدر ميكياشين ان يفتح بناية نوفغورود وفي سنة ١٨٧٤ اقيم في بطرسبرج تمثال كاترينا الثانية محاطة برجال عصرها العظام وتم في موسكو على رسم المسيوتون الكنيسة الكبرى على اسم المسيح المخلص

ودام السعي في الاسفار العلمية العظيمة بواسطة اهتمام باير وكثيرين من الباحثين وعدَّ كثيرون من الباحثين في علم تشابه الطوائف ووصف احوالها ولغاتها منهم كاسترين وسجغرين وشيافز ودورن وكونبك ولدخ وغيرهم ويجب ان نذكر من الذين اشتهروا بالعلوم الطبيعية والطبيعيات براندث وغبيار

وبورشتشوف وجاكوبي وكيبفر . وفي الكيميا الجلهاردت وفريتش وشيشكوف وفي الهيئة سافيتش وستريف . وفي العلوم الرياضية اوستراغرادسكي وبونياكوفسكي وسوموف وغيرهم . وقد قامت الجمعية الجغرافية بمنافع لاتحصى وقد خبر كوستانكو وفرشانكو وبرجيفالسكي وغيرهم اسيا الوسطى والحاصل ان روسيا قدرت ان تماثل اوربا وان تدعوها لاحتفلات عظيمة علميه اي انها قارنتها في الاعمال كما في الجمعية الباحثة بالمشابهة بين اللغات في موسكو سنة ١٨٦٧ وجميع عمل التماثيل في بطرسبرج سنة ١٨٧٢ وجمعيات علم الاثار القديمة في بطرسبرج وموسكو وكازان وتفليس من سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٨٨٠

واما المركز الجديد التي توصلت اليه اوربا بواسطة الاصلاح العسكري الالماني فقد الزم مملكة القياصرة ان تسعى باصلاح جنديتها على الانموذج الجديد وقد قام بذلك الاصلاح قانون سنة ١٨٧٣ . ومن بنوده ان كل الرعايا الروسيين بدون استثناء الممتازين بالوظائف والطوائف يخضعون لهذا القانون ويلتزمون بسحب القرعة لانهُ كان غير ممكن ان تتم الجندية في كل سنة بالعدد المطلوب وقدره ٦٧٦٠٠٠ رجل بدون ان يكون السحب عاماً والذين يخرجون من المدرسة منذ سنة ١٨٧٤ يكون

ثلثهم تحت السحب فمن تصيبهُ القرعة يتغلب على اربعة انواع في الخدمة العسكرية ومدتها ست سنوات اي اذا كان تعلم العلوم العالية يخدم ستة اشهر فقط واذا كان تعلم العلوم الثانوية بالجيمناستيك يخدم ثماني عشرة سنة واذا كان خارجًا من المدارس الابتدائية الاولية فيخدم ثلاث سنوات واذا كان من المدارس الابتدائية التي بعدها فاربع سنوات. فاذًا يظهر ان هذا القانون هو اجتماعي متساوٍ ونراهُ يقدم جزاء للعلم ويمكن اختصار هذا الوقت بنصفهِ. والجيش الروسي يقسم الى معسكرات حرب ومحافظة وقزق وفرق غير قانونية فيحوى ٧٧٠٠٠٠ الف رجل مسلحين بايام الصلح والسلام وفي سنة ١٨٦٧ اتفقت روسيا مع جنيفيا لاجل مساعدة المجاريح

افتتاحات في اسيا

ولم ينقطع بجلوس اسكندر الثاني على عرش روسيا التقدم في اسيا بل بقيت القوة الروسية آخذة في الامتداد وقد اعادت حرب القريم قوات جديدة للشركس فتمردوا غير ان الاستيلاء

بالهجوم في سنة ١٨٥٨ على فيدينى التي هي مقر شاميل المحصن جلب الضربة المميتة على سلطة ملكهم وفي سنة ١٨٥٩ حصر في غونيب والتزم ان يسلم الى البرنس بارياتنسكي مصلح القوقاس ولكي تكيد الانكليز روسيا اوعزت الى رجال الجبال ان يهاجروا عن اوطانهم فكان بذلك راحة لروسيا لانهم اخلوا لها البلاد وارتاحت من عناصر متعبة جداً واعطت محلاتهم لمهاجرين اخرين دخلوا بلادها فاشغال القلاع العديدة والطرق بالجندية مثل الطريق الممتدة من فلاديكاز الى تفليس اثبت للعنصر الروسي ان يمتد امتداداً عظيماً ولاسيما في شمال القوقاس

واما تركستان فهو اقليم مرمل يقطعهُ ليصبا ببحر ارال نهرا سيرداريا وامو داريا ويسميان عند القدماء (ياكسارة واوكسيس) وهذان النهران يخرجان من قمم جبال بولور وفي جبال بولور يجري نهرا كاشغار وبركانت ويصبان في نهر تاريم وهذا يصب في بحيرة لوب . ويوجد عند شمال ياكسارة اماكن الكيرغيزيين وعلى ضفات بحر الخزر تطوف طوائف التركمان وكان عند اعالي الياكسارة توجد امارة خوكند وعاصمتها خوكند ومدنها الخصوصية تركستان وفيها قبر احمد ياسافي الرسول الى تركستان وطاشقند وكوجاند والكسندرياهسكاتا

اواسكندرية الاخيرة التي اسسها اسكندر الكبير وعند اعالي اوكسبس امارة بلخ في بكتريان القديمة وامارة سمرقند وكانت مسكن تيمورلنك الشهير وامارة بخارا وعند اسفل اوكسيس امارة خيوا الواقعة في روضة قائمة وسط براري مرملة٠ وعند كشغار امارة كشغار التي منها يرقند نفوسها ٤٠٠٠٠ وهي مملكة قوية تاسست سنة ١٨٦٤ بواسطة يعقوب خان الجسور وكل هذه الممالك او الامارات قائمة على طريق تجارة الهند وقد لاحظ الانكليز دائمًا بعين مستيقظة وقلب مضطرب نجاح الروسيين في هذه الاقاليم

وقد غرس النفوذ الروسي في تركستان بواسطة اخضاع الكير غبزيين اثناء حكم نقولا الاول وسقوط خانهم خازيموف سنة ١٨٤٤ فلاجل حماية اولئك الرعايا الداخلين في يدها جديدًا وجب على روسيا ان تقوم بالمعارك في تلك النواحي فابتدأت منذ سنة ١٨٥٣ مع امارة خوكند بموقعة اشتهرت بالاستيلاء على قلعة اك مسجد بواسطة الكولونيل بيروفسكي وقد سميت باسمه وفي سنة ١٨٦٠ كسر القائد كولباكوفسكي بثمانمائة رجل في مضيق اورزون اغاج جيشًا لخوكند مولف من ١٥ الف نفس وفي سنة ١٨٦٤ خرج الكولونيل فيريفكين من اورانبورغ

واستولى على تركستان بينما كان تشرنايف الذي خرج من سيبيريا يستولي على اوليه آتا وانضم الجيشان الى بعضهما وهجما على تشامقند فاستوليا عليها ومن ثم في السنة الثانية تسمى تشرنايف حاكماً لتركستان واشغل طاشقند وهي مدينة تحوى نحو مائة الف نفس بعد معركة استمرت ثلاثه ايام

وكان البخاريون قد اشتركوا مرات متوالية بحروب خوكند المدنية فكان من امرهم اخيراً ان قاموا في وجه روسيا وكان اسم اميرهم نافذاً في كل اسيا الوسطى وساحراً للعقول ومع ذلك فقد تقهقر بالرغم عن اهتمامهِ الجنوني بحرب الجهاد

وفي كل تلك المدة كانت الجرائد الروسية تسلي انكلترا وتطمنها بما تنشرهُ من نواياها السليمة وان لا مقصد لها ابداً بافتتاح بخارا. وقد اعادت تركستان تجهيزاتها وسلمت نفسها الى قائد عمومي بمثابة نائب امبراطور واعهد اليهِ بان يقف الاهالي على افكار سيدهِ الامبراطور الابيض وكان هذا يسلك بسياسة حرّة فكان لا يتفق غالبًا مع حكومة بطرسبرج الرسمية وهو يختص بالامبراطور. وقد رفض امير بخارا دفع غرامة الحرب التي وضعت عليهِ سنة ١٨٦٦ فالتزم الجنرال كوفمان بطل اسيا ان يشنّ الغارة على مالكهِ فكسرهُ سنة ١٨٦٨ ووضع عليهِ

شروط ٥ تموز وفي هذه المعاهدة ترتب على امير بخارا ان يسلم
للروسيين امارة سمرقند فسلمها ودفع غرامة الحرب مليوني روبل
وكان يمكن محو بخارا نفسها واسقاطها بالكلية لولم يكن من
مقاصد الروسيين ابقاؤها . وصارت خوكند مملكة تخصهم
واقاموا عليها خصيصهم خيدايار

واما خان خيوا فانهُ في وسط البراري التي تولف منطقة بلادهِ
قاوم القوة الروسية وفسخ معاهدة سنة ١٨٤٢ وجعل تجارهم
عبيداً وارسل في سنة ١٨٦٨ وسنة ١٨٧٠ مساعدات الى
الكيرغيز بين الثائرين وعليهِ اخذ ماركوزوف وسكوبيلوف بان
يتوغلا في القفار فوصلا بجسارة الى حدود روضة خيوا ومن ثم
في سنة ١٨٧٣ تقدم ثلاثة صفوف من ثلاث جهات مختلفة
الى خيوا . فكان من شطوط بحر الخزر ماركوزوف ومن اورانبورغ
الجنرال فيرافكين ومن طاشقند كوفمان القائد العام فالاول
التزم ان يتوقف والثالث تعذب كثيراً لكنهُ انتهى بالوصول
الى خيوا والثاني وهو فيرافكين دخل اليها قبلهُ وعليهِ فقد صغر
الخان واعترف بتبعيتهِ للقيصر الابيض واقسام ممالكهِ الواقعة
على ضفات اوكسيس اليمنى اضيفت الى روسيا وحفظ السفر في
النهر بتمامهِ الى الروسيين وخصصت الامتيازات الموذنة باتساع

التجارة الى تجارهم وقضت عليهم القوة الروسية بالضعف واقيم
مع الخان حكومة مولفة من متوظفين وطنيين وضباط روسيين
ودفع مليونين ومائتي الف روبل سنويًا افرغ باقي غناء هذه
المملكة فكل هذا كان لان يجعل خيوا منضمة الى روسيا بطريقة
خفية فقاومت انكلترا بذلك واعلنت جرائدها وجوب المداخلة
بالقوة فارسلت روسيا شوفالوف الى لوندرا وتاكيداته جعلت
الانكليز براحة حيث منع ضم هذه المملكة تمامًا الى روسيا

وكانت السياسة الروسية في الهند كالسياسة الانكليزية
تجتنب انضمام البلاد اليها بسرعة فكانت تترك المواقع وانتصاراتها
فيها وارهاباتها تنضج الاثمار المفيدة تدريجيًا واما خيديار خان
خوقند فقد التزم منذ سنة ١٨٧٠ الان يقاوم هيجان رعاياه الغاضبين
من خضوعه للغير مؤمنين وفي سنة ١٨٧٥ وقعت فتنة عظيمة
ذات اهمية وقد تركه الجميع حتى ولداه الاثنان وانضما الى
الثائرين فالتزم اذ ذاك ان يترك العاصمة ويأتي اورانبورغ ومن
ثم ضمت روسيا مملكة خوقند لها وطول هذه المملكة ستون
فرسخًا وعرضها ثلاثون وهي مخصبة بنوع مدهش واصيب خان
خيوا بالاحتقار من رعاياه ايضًا لاجل مراضاته الروسية وحيث
حرم من قسم من الجزية التي كانت تاتيه من التركمان اذ صاروا

تابعين لروسيا في سنة ١٨٧٥ وفي السنة التي بعدها طلب ان
يتعين لهُ مرتب

والحاصل ان الكيرغيزيين والتركمان خضعوا وخوقند
وسمرقند انضمتا وبخارا وخيوا صارتا في يد الروسيين ولم يبقَ
الا رجل واحد يقاوم وهو يعقوب خان كشغار حيث كان تحت
حماية الانكليز وقد استحصلوا لهُ على لقب امير من لدن حضرة
الخليفة الاعظم وهذا كان قد جيش ٤٠ الف رجل عليهم ضابط
من البولونيين والانكليز وتهيأ باسلحتهِ وجيوشهِ لمنع ممرات
الجبال لكن في سنة ١٨٧٠ كان قد سبقهُ الروسيون فمروا
واشغلوا اقليم خولجا الصيني وفيهِ ثار المسلمون وطردوا جيوش
المملكة السموية وكان يتشوق اليهِ يعقوب خان فحكمهُ الروسيون
ولم يكن قبل ذلك يهتم الصينيون بهِ الى ان راوا ما وقع هناك
وفي النهاية مشى الجيوش الصينية ودخلوا كشغار. وفي سنة
١٨٧٧ توفي يعقوب خان وقد وقف جيشا روسيا والصين
تجاه بعضهما واعلن الصينيون قصدهم بان يقيموا حكومتهم في
كشغار وايبعدوا رعايا الروسية وان يمنعوا كل تجارة مع
روسيا وطلبوا اعادة اقليم خولجا ولما كانت العلاقات بين
الدولتين كثيرة الامتداد دخلتا باب المفاوضة والمخابرة فقررتا

معاهدة اولى بينهما كان منها ان تقسم خولجا بينهما فيكون الشمال للصينيين والجنوب للروسيين ووقع على هذه المعاهدة في بطرسبرج سنة ١٨٧٩ فرفضت حكومة بكين الاعتراف بما اجراهُ مفوضها لدى روسيا وامرت بقطع راسهِ جزاء على تساهلهِ بذلك . وكان في تموز (جوليه) سنة ١٨٧٨ ان ارسل حاكم تركستان القائد سقولياتوف الى شير علي امير افغانستان فالاحتفال العظيم الذي لوقي بهِ هذا القائد في كابول ووجود فرقة روسية عند الحدود تحت امرة الجنرال ابراموف اقلقت الانكليز كثيراً وتاكدوا ان روسيا بواسطة هذا الموقع القوي في افغانستان تتهدد حدود الهند وكانوا يعرفون ان شير علي عدوهم . فبعد المفاوضة بين الدولتين ورغماً على السفارة المرسلة من شير علي حاكم تركستان وكان يرافقها الجنرال سقولياتوف قبلت روسيا ان ترضى من الانكليز بان يتعين خط للتحديد بين المملكتين فلا تتجاوزهُ الجيوش الروسية . وبعد ان نال الانكليز مقصدهم من رجوع الوفد الروسي الزموا شير علي ان يقبل وفداً انكليزياً في كابول فرفض ذلك وعليهِ زحفوا على افغانستان فنتج من جرى ذلك فتنة عمومية واضطر شير علي ان يهجر عاصمتهُ والتجأ الى الاراضي الروسية حيث توفي في ٢١ شباط (ففريه) سنة ١٨٧٩ . واما ولدهُ

يعقوب فدام على الحرب ضد الانكليز ولكنهُ التزم ان يخضع وان
يقبل في كابول كافنياري المعتمد الانكليزي وان يسلم الى الانكليز
مضايق الجبال . ومن ثم ذبح كافنياوي و٦٧ من تبعتهِ حين
حدوث ثورة والتزم يعقوب ان يلتجي الى معسكر الانكليز .
فاستولى الجنرال روبرس القائد الانكليزي على كابول ثم خسرها ثم
عاد فاشغلها ثانيًا وذلك ان ايوب خان حاكم هرات كان
يرغب في ان يقوم مقام يعقوب فحارب ونجح اولاً بعض النجاح
في مقاومة الانكليز ومن ثم تقهقر امامهم . وحمايتهم للامير عبد
الرحمن جعلتهُ ان يداوم الحرب ضد ايوب خان سنه ١٨٨١
وملك عواصم افغانستان الثلاث وهي كابول وكندهار وهرات
وبقي الانكليز على حالهم يشغلون ممرات الجبال وقد عقدوا مجلسًا
في كابول وعاملوا عبد الرحمن كتابع لهم وترجح عندهم انهم
اقاموا في وجه الروسيين سدًّا لا ينفذ

فالتزم الروسيون ان يتركوا الميدان حرًا في افغانستان
يجري على مجاري السياسة الامبراطورية التي افتتحها اللورد
بيكونسفيلد وزير انكلترا الاول . حيث كان قد وضع على راس
ملكتهِ تاج الهند الامبراطوري . وفكروا في انهم يعوضوا خسائرهم
في جهة ثانية . وبداعي احتجاجهم انهم يقاصون لصوص التركمان

الساكنين بين اوكسيس وحدود افغانستان حيث كانوا يملكون مدن جيوك تبه ومرو نقدم نحوهم جيش روسي وهجم الجنرال لوماكين عليهم بدون فطنة في دنجيل تبه بغرب جيوك تبه فخسر خمسمائة رجل والتزم الى الرجوع في ٩ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٧٩

وناب عنه الجنرال سكوبالياف فقام مع التركمان بعدة معارك وعرف كيف يحذر من كبسات الاعداء وحروبهم الغير مرتبة واستولى بالهجوم على جانجي قلعة في ٢٠ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٨٨٠ وعلى دنجيل تبه وجيوك تبه في ٢٤ كانون الثاني (جانفيه) سنة ١٨٨١ وفي هذه المعركة الى اخر يوم منها خسر البرابرة ٨٠٠٠ رجل وفي ٣٠ منه استولى على اسكاباد. ومن ثم اعلاناته ومعاملته الحسنة ارجعت الى جيوك تبه ١٦ الف عائلة كانت هربت الى البراري. وقد تم اخضاع روساء التركمان وارسلوا بنوابهم الى بطرسبرج وفتحت طريق مرو. ومع ان روسيا في هذه المرة عرفت كيف تقطف نتيجة انتصارها حققت في ٧ اذار (مارت) سنة ١٨٨١ الى السفير الانكليزي دوفرين ان لا مقصد لها باشغال تلك المدينة غير استتباب الراحة في تلك النواحي

ولما كانت السيادة الانكليزية قد رسخت في افغانستان غرست روسيا سيادتها في ايران وعند سفر الشاه الى اوربا لوقي باحتفال مدهش في بطرسبرج وفي سنة ١٨٨٢ سلم الى الروسية قلعة اشال تبه فظهر ان بواسطة جيوك تبه واسكابا واشال تبه قد اشغل الروسيون مواقع متينة عند حدود افغانستان الشمالية ولم يقوَ على نجاحهم في ايران وفي تركستان لا سياسة بيكونسفليد المتداخلة بالسلاح ولا رجوع غلادستون بسياستهِ السلمية الى عدم التغرض والميل

فكان من نجاح روسيا والاستيلاء على تلك النواحي التي كانت غارقة بالتعصبات الدينية والحروب الدائمة بين الخانات والسلب والنهب في الطرقات وتجارة العبيد ان اكسبتها رونقًا حسنًا فترى الان العساكر بهيئة متمدنة واتخذت احكامًا عادلة موافقة للجنس الانساني . وقد وجد الروسيون عند ضفات اوكسيس وياكسارة آثار اسكندر المكدوني ولم تكن روسيا قد افتتحت هناك لكنها انشأت بلادًا واقامت بنايات عظيمة وقد قال المسيو كشفال كلاريفني ان كل هذه المداخلات التي قامت بها روسيا ستفيد التمدن في نفس الوقت الذي تثبت فيهِ القوة الروسية وهذه القوة الاصلية تقوم بصفات الجندي الروسي

الذي هو اعظم الة فعالة مدهشة للافتتاح وانشاء المدن فهو طائع بقدر ما هو شجاع وقنوع يحتمل بدون ضجر وتشك كل الاتعاب والاثقال مستحضرًا على كل شيء فهو يفتح الطرق ويرمم الحواجز ويحتفر الخنادق ويشتغل الاجر الذي يبني به بعد شغلهِ حيطان الابراج والثكن اللازم له بناؤُها ويصنع بندق البنادق والكلل فهو بناءٌ وسكّاب ونجار حسب احتياج الوقت اليهِ وفي النهار التي تطلق له الحرية بهِ يقبض على الة الحراثة والفلاحة بسعادةٍ . فالدولة التي تحت سلطتها هكذا الات لا تقهر ابدًا ويكفيها بضع سنين لتنهي افتتاح كل ارض وضعت بها رجلها

وفي حدود أسيا الثانية انهت مع الصين معاهدتي آيغون وتيان تسين في سنة ١٨٥٨ ومعاهدة بكين في سنة ١٨٦٠ التي حققت للروسية الاستيلاء على كل ضفة نهر امور الشمالي وكل الضفة اليمين بين اسودي والبحر وانشأت اقليمي آمور وماريتيم في ارض مساحتها نحو مليوني كليومتر مربع ومخرت مراكب شركة نهر آمور في ذلك المجرى العظيم وسرت روسيا على خطة حسنة مع فرنسيسكو وجزائر بحر الباسيفيك وسلمت اليها الجابون في سنة ١٨٧٥ كل جزيرة سالفاليان معتاضة عنها ببعض جزائر

الكوريل

وفي معاهدة سنة ١٨٦٧ باعت الحكومة الروسية املاكها في امركا الى الممالك المتحدة وبسبب هذا المبيع تقوت رباطات الصداقة بين كل من الروسية وتلك الجمهورية العظيمة

السياسة في اوربا الى حد سنة ١٨٧٧

واما في اوربا فان سياسة روسيا كانت تتقدم بين حربي الشرق اي بين حرب القريم وحرب سنة ١٨٧٧ وجاءت بنتائج حسنة لكنها كانت اكثر اختلافاً مع الدول مما في سياستها الاسيوية ففي سنة ١٨٥٦ البرنس اسكندر كورتشاكوف الذي كان اخلف الكونت المسن نسلرود كمستشار المملكة قال في احدى منشوراته واصفاً الحالة المفروض على روسيا اتخاذها من جرى نتائج حرب الشرق . روسيا لا تكظم لكنها تجمع حواسها وفي مفاوضات باريس تبين تقريب ظاهري بين دولة فرنسا وروسيا وكانت الاولى قد اخذت تبتعد عن حليفتها النمسا . وقد تركت روسيا الحرية في ايطاليا تجري على النجاح وبعد ان

قاومت كثيراً في تملك الامراء الايطاليانيين انتهت باعترافها بقيام المملكة الجديدة . وقد استحسنت اشغال سوريا من الفرنسويين عقيب فتنة في لبنان سنة ١٨٦٠ وارادت ان يكون ذاك الاشغال لمدة غير قصيرة فلهذا عاملتها فرنسا بالمثل واخذت بدورها ان تحامي عن مطالب الرومليين والسربيين واهالي الجبل الاسود ضد الباب العالي وهي تحسن بقبول ملاحظات البرنس غورتشاكوف مما يتعلق بالحالة الموجود بها مسيحيو بوسنا وبلغاريا

ولكن في سنة ١٨٦٣ بسبب تظاهر فرنسا السياسي عند حدوث قلاقل بولونيا هدمت تلك الصداقة التي كانت شيدت زمناً قصيراً بين الدولتين واضطرت روسيا الى المعاهدة البروسية ولاجل تقوية هذا المستشار اي مستشار روسيا الاول اقيم لمستشار برلين بضحيات لا تعوض

وفي سنة ١٨٦٤ تغاضت روسيا عن مساعدة الدنمارك التي خسرت دوقيات الب وفي سنة ١٨٦٦ سمحت لبروسيا ليس فقط باخراج النمسا من المفاوضة الجرمانية بل تركت لها ان تعزل عن كرسي الملك عائلات هانوفر نسوكسل وان تضع تحت حكمها عائلة درمستات وبادوويرتابرج التي اعترفت

بامبراطورية بروسيا وان تجمع المانيا الى نفسها وكانت تلك قبلاً مدفوعة الى ملك واحدٍ بحصل بواسطة البلطيك والدانوب والفستولا فوائد لا تحصى وهي بدون شك مضرة في مستقبل روسيا . ونتذكر هنا ان بستوجف ديومين مستشار اليصابات حيث كان يعتبر بفردريك الثاني القوة وتاكدان انضمام سيلبزيا الى بروسيا يقلق روسيا قام بحرب السبع سنين ليضعف قوة جاره الطماع كما مرَّ معنا في بابهِ في تاريخ حياة اليصابات وكذلك اسكندر الاول فانهُ اقتحم قوة نابليون لاجل مسئلة اولدنبرغ والمدن الهانسياتية . ولكن في سنة ١٨٦٧ ظهر حالاً في المانيا المتسعة حركة جديدة بسبب الاقاليم التي دعيت المانية بروسية وسمع صدى لصوت الكتباء في الاجتماعات العمومية في البلطيك ومطبوعات برلين . والمسيو كاتنراهدى كتابة القائل بهِ عن ارسالية بروسيا في الشرق الى الجيش الالماني . وقد تاملت روسيا ان تحصل على انفاذ سياستها في الشرق بواسطة مملكة المانيا الجديدة غيران هذا لم يتحقق وقد كتب المسيو بنديبي . ان كل شقاق يقع في الشرق يحرك المستشار الالماني الى الوقوف تجاه مقاصد روسيا وهو يبحث لان يكيدها وقد ظهرت نتيجة ذلك في السنة الاخيرة عند الاختلاف الذي وقع بين الباب العالي

واليونان ولم تكن روسيا الأورقة لعب بده دارها الحصول على ما اراده عند الرين وهو يمسك مر نفسه كثيراً كي لا يدخل بدوره أفيصير ورقة لعب بيد حكومة بطرسبرج . انتهى . وعليه فاننا رأينا تحقيق ذلك فان روسيا ساعدت في قيام دولة بروسيا وانضمامها واخلصت الود لها في حربها مع فرنسا وقام مستشارها غورتشاكوف بكل ما يمكنهُ ان يقوم بهِ لتقويتها على امل ان يلاقي من صديقهِ بسمارك الامانة والولا والصدق فاعكس

وفي حزيران (جون) سنة ١٨٧٠ اجتمع سيدا روسيا وبروسيا في امس وتخابرا بشان الاحوال الحاضرة اوانئذٍ وقررا ما لزم لها تقريرهُ وقد قال البرنس غورتشاكوف لسفير انكلترا انهُ لا يمكن لروسيا ان تشكى قطعاً من قوة بروسيا . وهذه الامانة ازمعت ان تحصل على برهان وثيق . ففي تموز (جوليه) سنة ١٨٧٠ بدأت الحرب بين فرنسا والمانيا وهي الحرب التي قلبت النظام الاوربي لمنفعة بروسيا وجعلتها سيدة الاراء والاقوال فيها . فقامت اذ ذاك روسيا بتهديداتها والزمت النمسا ان تبقى على الحيادة وسحبت ايطاليا الى جانب ... وضغطت على الدانمارك حيث ان برنسة دنماركية تزوجت ... سنة ١٨٦٦ بالدوق الاعظم ولي عهد روسيا فبقيت فرنسا منفردة في اوربا

ولم تكن روسيا فقط قد منعت اتحاد المتحدين لكنها قطعت شجاعة كل مداخلة من اوربا بطرقها السياسية وفي ٢٠ ايلول (سبتمبر) اذ علم القيصر الروسي بانتصار خالهِ امبراطور بروسيا في سيدان شرب بسرهِ وكسر الكاس ليكون لفرحهِ رنة قوية وكان بدون شك يشير على خالهِ باللطف وخالهُ يصغي الى ما يبديهِ ولكن قال المسيو سوريل. ان هذه المبادلة بينهما والحب المبني على المقاصد والصداقة التي لم تتغير بتغيير الاسباب التي نتجت مثل منع الرسائل ونحوها كانت تحمل ملك بروسيا ان يقبل دائمًا ملاحظات ابن اختهِ وكذلك القيصر فانهُ وان تكن ملاحظاتهُ ومشوراتهُ ذهبت بدون نتيجة وكانت تسمع ولا يعمل بموجبها فلم يغضب من خالهِ. انتهى

والاجدر بنا الان ان نذكر ان الطائفة الروسية لم تكن راضية من عمل الامبراطور ووزيرهِ بسحق فرنسا والانقلاب الاوربي وقد كتب وكيل الممالك المتحدة الاميركية في روسيا عن ذلك ان الميل العمومي الى فرنسا هو عظيم جدًا ولاسيما حين نجاح بروسيا الجديدة وعلى ما يقال ان ضباط الجيش بدون استثناء مستجمعون الراي يودون حربًا عوانًا ضد بروسيا وقد رايت في جملة دعوات وولائم افراح انهُ طلب وشرب فيها سر

خراب الالمان والغرتيز وفي كل يوم تنشر الجرائد قطعاً طويلة مستوفية تظهر فيها الخطر الذي ينتج لاوربا من ازدياد وثبات قوة عسكرية مثل قوة المانيا الشمالية واخر انتصار لبروسيا ايقظ الجهات المزمعة ان تتوجع في روسيا لمثل هذا الانتصار التام وتلك الجهات هي بولونيا والاقاليم البلطيكية فاهتموا بجمع الاموال لمساعدة مجاريح فرنسا فاكتتب منهم كثيرون . وكان اقل نجاح لفرنسا يهيج الفرح العمومي في روسيا. انتهى

وقد ذهبت مامورية موسيو تيرس الذي سافر في سنة ١٨٧٠ الى بطرسبرج بدون جدوى وهذا السقوط في روسيا انتج حبط مساعيه ايضاً وضياع اجتهاداته في النمسا وفي ايطاليا وفي انكلترا ولم يحصل في روسيا الاَّ على كلام ابن ينطوي تحت معانٍ مؤلمة منها (ان عدوة القريم القديمة تصنع لفرنسا اكثر مما تصنعهُ لها حليفتها انكلترا) وبالحقيقة ان السياسة الروسية مع بذل المنفعة لبروسيا كانت تطلب بقاء فرنسا لتصل باطمئنان حسن الى نتيجة اجتهاداتها وهي تنقيح معاهدة سنة ١٨٥٦ وفي ٢٩ تشرين الاول اشهر البرنس غورتشاكوف بلائحة قدمها للدول عن تلك المعاهدة اظهر فيها ان الحوادث وضعت المجلس الامبراطوري تحت الاحتياج لفحص النتائج الضرورية لموقع

روسيا السياسي وطلب محو البند الثاني من تلك المعاهدة اي معاهدة القريم وهو يحدد قوات روسيا البحرية في البحر الاسود. فالتئم مؤتمر في لوندرا وطلبت روسيا بتشديد حضور معتمد من الحكومة الفرنسوية فيه وهذه فرصة جديدة اغتنمتها الجمهورية الجديدة الفرنسوية لازالة المانع الحائل بينها وبين روسيا وتسوية المسألة مع بروسيا. ففي ٢٣ اذار (مارت) سنة ١٨٧١ جاء سفير فرنسا في لوندرا بتوقيع فرنسا ليضعهُ على تنقيح معاهدة سنة ١٨٥٦ وقد التزمت فرنسا في تلك المعاهدة ان تحتمل الصلح الثقيل الذي جرى في فرنكفور وعرفت روسيا كيف قررت نجاح المملكة الالمانية ومنح اسكندر الثاني قواد الجيش المنتصر الالماني شهادات الامتياز. ونال الامراء فردريك وفردريك شارل على لقب مارشال روسي اولي

ومنذ نهاية حرب فرنسا وبروسيا اخذ امبراطور روسيا والمانيا في المفاوضة بشان احوال الشرق وان يقيما قانوناً اضبط اشغال الشرق والغرب معاً ذاك الذي دعوهُ معـــاهدة الامبراطوريات الثلاث فالتئام المجلس الدولي في برلين سنة ١٨٧٢ وسفر امبراطور المانيا الى بطرسبرج سنة ١٨٧٣ والمفاوضات العديدة التي جرت بين روساء الدول اوضحت امام اعين

اوربا التاويل الحبي الذي كان يظن انهُ يدوم بينهما .

وكانت الروسية تعرف جيداً ما اكتسبتهُ بروسيا بذلك التحالف الذي دام اكثر من عشر سنين وان الربح كان منها اي بروسيا بمقدار ذرة بالنسبة للربح التي حصلت عليهِ تلك لان بروسيا كانت قد اكتسبت اقاليم وممالك وصفات حربيه وجيش عرمرم عظيم وموقع حسن واما روسيا فلم تحصل الاَّ على تنقيح البند الذي كان عدد قواتها بالبحر الاسود غير انها كانت ترى في ذلك نتيجة حسنة تقطف اثمارها في الاستقبال وبذلك راى القيصر انهُ وان كان حافظ على عدم سقوط فرنسا الى الحد الاخير فقد قيد فرنسا بشروط وحملها من الخسائر العظيمة ما لم تكن اقل ثقلاً عليها من معاهدة القريم وتامل انهُ بسبب ذلك يتمكن من محو كل بنود تلك المعاهدة

اسكندر الثاني . حرب الشرق والنيهيلست
السلافوفيل واوربا الشرقية

وكلما زاد نهوض روسيا من وهلة سقوطها في القريم كل ما تبعت وتيقظت الى ملاحظة نصيب الشعوب الخاضعة للدولة

العلية العثمانية التي معاهدة سنة ١٨٥٦ جردتها منها ومنعتها من حق الحماية لرعايا الباب العالي

ففي سنة ١٨٥٨ تداخلت الحكومة الروسية بالمخابرة التي تجمع امارتي الفلاخ والبغدان الى بعضهما وفي سنة ١٨٥٩ بعد انتخاب الكولونيل كوزا المضاعف تقدمت روسيا الى الاتفاق الجامع الامارتين الى حكومة واحدة وهي رومانيا فهذه الحكومة الخطيرة التي كان اقامها الامبراطور تراجان على الدانوب الاسفل اعترفت بها اخيراً الدولة العلية وذلك في تشرين الثاني سنة ١٨٦١ ويكون هذا الاعتراف فقط مدة اقامة كوزا . وفي سنة ١٨٦٥ الامير الاول في الروملي طلب تحرير الكنيسة الروملية من بطرك الروم الارثوذكس في الاستانة العلية فراى الباب العالي ان يقبل بالتغييرات العميقة الداخلة في النظام الروملي الداخلي بعد حادثة البرنس كوزا (في ١٤ ايار مايس سنة ١٨٦٤) حيث طلب انحلال المجلس الشرعي واجرى بواسطة سلطته الحرة الاصلاحات التي حكم انها ضرورية . ومن ثم اذ قلب تخت كوزا في ليل ٢٢ و ٢٣ شباط (ففريه) سنة ١٨٦٦ قدم الرومليون تاج حكومتهم للكونت دي فلاندرو الاجتماع الباريسي في ١٠ ايار (مايس) مع تأييده وعضده للاتحاد الروماني رفض

قبول انتخاب البرنس الغريب فالتزمت الجمعية الرومليه ان
تغض النظر عنهُ الى غيرهِ فانتخبت في ١٩ نيسان برنساً المانيا
اسمهُ شارل دي هوهانزلورن فاعترف الباب العالي بهِ وترك
ومنح الفلاخ والبغدان ما لهُ عليها من حق السيادة واكتفى منهما
بقبض الجزية المعينة فقط

واما في السرب فقد عادت الى قبض ازمة الاحكام سلطة
الاوبرينوفتشة في سنة ١٨٥٨ واقيم عليها البرنس ميشال و بقيت
السرب اكثر تعلقاً بالباب العالي من الروملي اذ حفظ فيها للدولة
العلية القلاع السبع البلغرادية منها سماندريا وسوكود واوجيتسا
وفتح اسلام وفضلاً عن ذلك فانهُ بسبب فسخ اتفاقية سنة ١٨٣٠
التابع لمعاهدة اندرينابلي استوطن كثير من العثمانيين المسلمين
بالقرى حتى و بنفس بلغراد مع رفضهم الخضوع للقوانين السربية
وكان يرى البرنس ميشال ذاتهُ عرضة لمدافع القلعة
العثمانية وهو يتألم من وجود شعب غير خاضع لقوانين البلاد.
ونتج خلاف كان بداية الشر في سنة ١٨٦٢ بسبب نزاع وقع بين
جندي عثماني ورجل سربي فتضارب بسببها الرجال العثمانيون
المتفرقون في الاسواق والاهالي واطلقت مدافع القلعة على المدينة.
وعليهِ التئم مجلس في دار السعادة تقرر فيهِ ان قلعتي سوكود

واجيتسا تردا الى السربيين، ويبقى العثمانيون بالقلاع الباقية. وبقيت مدينة بلغراد تحت طائلة نار القلعة. واخيرًا في سنة ١٨٦٧ عند تظاهرات السكوتشينا السربية اجاب الباب العالي سؤال الدول واخلى كل المواقع ومن جرى قتل البرنس ميشال في سنة ١٨٦٨ خلفهُ البرنس ميلان الصغير وهو ابن عمهِ وكان قد تبناهُ واحلهُ محل الولد الوارث

واما في الجبل الاسود فقد كان البرنس دانيال الاول وهو الذي لم يتخذ رتبة مطران مع رتبة الامارة وكان يمتنع عن قبول ايعازات روسيا ويظهر بانهُ غير راضٍ منها ولم يلتفت الى اهتمامها بامر بلادهِ عند وقوع حرب سنتي ١٨٥٢ و١٨٥٣ بحيث سعت لدى الباب العالي بايقاف الهجوم على الجبل بل كان يهتم بالميل الى النمسا والسعي بموجب ارادتها. وفي حرب القريم بقي متحايدًا الى نهاية الحرب وبعد النهاية جرب بان طلب مطاليب جديدة في المجلس الدولي الذي عقد سنة ١٨٥٦ وهي تنازل فعلي من الباب العالي عن كل حق وسيادة لهُ عليهِ وتوسيع اراضي الجبل ولما لم يحل طلبهُ محل الاستحسان من اوربا رفضت مطالبهُ ولم تعضدهُ فاشهر العصيان وباشر العمل فزحف جيش عثماني عليهِ وبعد حدوث مواقع كثيرة جرت موقعة غراهوفو

تحت قيادة حسين باشا اظهر فيها كلا المتقاتلين شجاعة
عظيمة وخسر حسين باشا نحو ثلاثة الاف نفس وكل مدافعهِ
واذ ذاك توقف عن الهجوم واراد الباب العالي ان
يستأنف القتال ويقاص المعتدين فتداخلت اوربا لفض
المنازعات سنة ١٨٥٨ . وعندما ذبح الامير دانيال في سنة ١٨٦٠
خلفهُ ابن اخيهِ الامير نقولا وكان لا يزال قاصرًا فقام وكيلاً عنهُ
ابوهُ ميركو الفائز في غراهوفو وحالاً ابتدأت الاضطرابات في
الهرسك فميركو هذا غض النظر عن الجبليين الذين كانوا
يذهبون فيتطوعون في الهرسك فنتج من ذلك غيظ حضرة
السلطان الاعظم وفتح حرب ثالثة على الجبل الاسود فارسل
عمر باشا بسبعين الف مقاتل فجرت مناوشات كثيرة بين الجبليين
والعثمانيين كان يتبادل النصر بينهما واخيرًا زحف عمر باشا
بعساكرهِ فسحق ميركو وكسرهُ في رياكا في ٢٤ آب (اوغسطوس)
سنة ١٨٦٢ وحينئذٍ تداخلت اوربا وانهت الخلاف فاحتمل
الجبل الاسود فتح طريق عسكرية باراضيهِ

وكانت من هذا قد تمتعت كل من حكومات السرب
والجبل الاسود والفلاخ والبلغدان بامتيازات خصوصية وصارت
تحت ادارة حكومة وطنية وكان ينظر اليهم باقي ابناء جنسهم من

الرعايا المسيحيين الذين تحت سطلة حضرة السلطان الاعظم ومع انهم كانوا يعيشون تحت ظلّ الحضرة الشاهانية كانوا ينتظرون نصيبًا استقلاليًا ويسالون الاصلاح المنبي عنهُ منذ سنة ١٨٦٥ وهكذا كانت صقالبة بوسنه وهرسك وبلغاريا ويونانو ابيروس وتساليا وكريت . وعند سقوط الجبل الاسود واخماد الثورة فيهِ سقطت ثورة الهرسكيين وكان البلغاريون يتحركون الى الخروج ففي سنة ١٨٦٨ الذين ثاروا منهم جربوا بالاتفاق مع قواد من الفلاخ والبغدان ان يكسبوا قلعة سيستوفا فانتجت هذه التجربة اضطهادات فظيعة . وفي سنة ١٨٦٦ بعد اجتهادات غير مثمرة ثار الكريتيون للحصول على حكومة اصلاحية فالتزم حاكمهم اسماعيل باشا ان يرحل الى ابوكورنو واسرع اليهم متطوعون كثيرون من بلاد اليونان ومن فرنسا ومن جهات اخرى وبسبب هذا الهيجان في كريت وقعت المخابرات في اثينا والمجادلات فتغلب حزب الحرب واعلن الوزير اليوناني وجوب ضم جزيرة كريت واقام بتجهيزات حربية وعمل اسلحة دعت الباب العالي الى طلب سفيره وارسل الى البيره الاميرال هوبرت باشا ليعطي التعليمات الاخيرة . ورات الدول الى هذه الحالة بعين غير راضية ولكي تتجنب وقوع حرب هائلة التأم مجلس للمفاوضة في

باريس والزموا اليونان بقبول الصلح وبعد مقاومات كثيرة ومناوشات ذات اهمية سقط الثائرون في اكريت واجيبوا بالفشل لكن حضرة السلطان الاعظم عندما تمكن من اخضاعهم لم يرد ان يحرمهم من رحمته فبعد سقوطهم في كانون الثاني (جانفيه) سنة ١٨٦٩ منحهم نوعًا من الاصلاح

واما الحكومة الروسية فانهُ منذ سنة ١٨٦٠ نبهت خواطر الدول وذلك بمنشور كورتشاكوف الى حالة اهالي بوسنه وهرسك واشغال الروملي والسرب والجبل الاسود وكريت واشتركت مع باقي الدول وسلكت مسلكها

وفضلاً عن عمل الحكومة الروسية وانهاضها الى النظر في مثل تلك المسائل كانت الجمعيات الروسية تتحرك الى مساعدة ابناء جنسها فمنذ سنة ١٨٤٦ وجدت في كياف جمعية تيريل وميتود التي فرضت على نفسها الاهتمام باصلاح نصيب مسيحي الشرق بدون امتياز او فرق بين الطوائف وقد كانت تهيج هم الامبراطور نقولا وقد تفرقت ثم عادت فتالفت سنة ١٨٥٧ لكنها خضعت لغاية واحدة فقط وهي تحرير طوائف الصقالبة التي كانت كلهـــا مولفة منها والذين تتبعوا هذا المقصد تسموا السلافوفيل واتخذوا مثالاً لاعمالهم الحرية التي حصلت عليها ايطاليا والانضمام البولوني

فكانوا يتوهمون بانضمام هذا الجنس الى بعضهِ فيكون عنصراً
قوياً كافي القوة · وفي سنة ١٨٦٧ طلب الى موسكو تحت اسم
جمعية دولية تتعلق بمعرفة الطوائف المختلفة نواباً من جميع
طوائف الصقالبة لكن لوحظ هناك انهُ كان ينقصهم معرفة لغة
سلافية وهي المعروفة من كل الصقالبة. وحققوا ان كثيراً من اولئك
الشعوب يطلب حفظ حقهِ بالحرية التامة غير ان تذكار بولونيا
نشر ظلاً مكدراً على ذلك العيد السلافي الاخير وقدروا ان
يتأكدوا ان هذا المقصد المستحيل اي ضم طوائف الصقالبة الى
بعضها غير ممكن الوقوع

واتصلت محبة هذا الجنس الصقلبي الى النظر في الذين لا
يزالون يخضعون للسلطة العثمانية سواءٌ كانوا بنصف استقلال
او كانوا كباقي الرعايا وهذه المحبة كانت مشتركة بين كل
المسيحيين الارثوذكسيين وكذلك الذين هم من اصل يوناني او
روملي كانوا يهيجون لكن اقل من الجنس السلافي وعلى هذا
الوجه كانت ترسل الى السرب والجبل الاسود والبلغار وبوسنه
وهرسك الكتب والامتعة الدينيــة والدراهم لبناء مدارس
وكنائس · وكانت الحكومة الروسية تقوم بمثل هذه الاعمال
لظنها بان الروملين يكونون اكثر من غيرهم على عناد سلطتها

وان اليونانيين نظراً لطمعهم يحلمون باوهام اي بقيام مملكة متسعة (هيلانية) تقوم مقام المملكة البيزنطية وتكون القسطنطينية عاصمة لها فيعملون على عداوتها ويكون النزاع متصلاً على الدوام

وعلى ما تقدم ارادت روسيا ان تفصل كنيسة البلغار كما فصلت كنيسة الروملي وتخرجها من تحت رئاسة بطرك القسطنطينية وطلب البلغاريون ذلك واذ كانوا غير قادرين على تحريرهم السياسي اكتفوا بتحريرهم الديني وسعوا بقيام كنيسة وطنية وقصدت روسيا بذلك ان تفصلهم عن كنيسة اليونان لتبعدهم عنها وتقطع هذا الرباط بينهما. فعظم الشغب في كل الشبه جزيرة وطالت المسألة واشتدت اهمية المخابرات فيها. وكان الجنرال اغناتيف سفير روسيا لدى الباب العالي معتبراً كالمحامي الطبيعي عن الطوائف المسيحية الارثوذوكسية فاسرع البلغاريون بالتظاهر وسالوه ان يسند مطالبهم وكذلك اليونان سالوه ان يثبت الوحدة اي ان تبقى الكنيسة واحدة فابتدأ اولاً متظاهراً بعدم الميل الى احدى الفئتين وبقي على ذلك مدة طويلة لكنه اخيراً مال فجأة الى الاولين ونظراً لقبول كلمته لدى الباب العالي سمح للبلغاريين في ٢٤ نيسان سنة ١٨٧٢ بحق انتخاب رئيس ديني وهكذا حصلوا على تحرير

كنيستهم الوطنية ·

وحيث كان كارتشاكوف قد حصل في سنة ١٨٧١ في موتمر لوندرا على اصلاح معاهدة باريس التي ابرمت سنة ١٨٥٦ وقع مع الدولة العلية على اتفاقية في ١٨ اذار (مارت) سنة ١٨٧٢ كان من مآلها ان للدولتين الحق بقيام ابراج وحصون ومرافئ على شطوط البحر الاسود وان لكل منهما الحق باستعمال تلك الابراج استعمالاً حربياً وان يوضع بها مدافع واسلحة وحامية وهذه خطوة كبرى تقدمتها روسيا لاصلاح نفوذها في الشرق

ثورة الصقالبة في الدولة العثمانية وحرب الصرب والجبل الاسود

وفضلاً عما تقدم من الاضطرابات والارتباكات السياسية والدينية وما كان يظهر من المقاصد في اعمال روسيا لارجاع نفوذها في الشرق والغرب الذي اضاعته من جرى حرب القريم ابتدأت بغتة الثورة سنة ١٧٧٤ في هرسك وبوسنه وحمل الاهالي السلاح واحتج الثائرون انهم يطلبون معاهدة باريس

والاصلاحات الموعودين بها فيها ولم تكن اذ ذاك فرنسا قادرة لان تدعو الراي العام السياسي الى تقريرما يوافق اولئك الثائرين . واما الدولة العلية التي ظهرت بعد ذلك بقوة عجيبة تظاهرت في اول الامر بعدم الاكتراث وابدت من لين الجانب ما حير العقول وكان ذلك اما عن شفقة برعاياها الثائرين واما عن مقاصد سياسية مبهمة واما عن ضعف في تدبير بعض الوزراء وتركت الثائرين ان يضربوا مختار باشا ويحاصروا قلعتي نيكسيش وبيغا . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٥ اراد الباب العالي ان يجرب الاهتمام بالعفو عن الثائرين فعزم على منحهم اصلاحات جديدة فجحد الثائرون تلك النعمة وطلبوا ضمانات على اجرائها واذذاك توصل الكونت اندراسي وزير النمسا الاول بان يحمل الباب العالي على التنازل والقبول باصلاحات ذكرها في اللائحة التي اذاعها في ١٢ شباط (ففريه) سنة ١٨٧٦ . ومع ذلك لم يقبل الثائرون ورفضوا ترك السلاح وقد طلبوا ان تخلي الجيوش العثمانية كل قطيعاتهم . وفي تلك الاثناء حدث بغتة في سلانيك امر مهم لدى اوربا وهو قتل قنصلي فرنسا والمانيا . ولهذا السبب اتفق الدول لان يقدموا للسلطان الاعظم لائحة اول ايار (مايس) يدعونه الى التوقيع على امضاء هدنة مع

الثائرين وان يجري الاصلاحات التي عرضها الكونت اندراسي وقد تهددوا انهُ اذا رفض ذلك اضطروا الى الزامهِ بالقوة . فلم يؤخذ الباب العالي بهذه التهديدات فرفض طلب الدول وبقي متسنداً على مواعيد انكلترا

ووقع خطب جسيم اعظم من حادثة سلانيك اهاجت الراي الاوربي لمقاومة الدولة العلية وهو ان منذ سنة ١٨٦٤ كانت الدولة العلية قد فكرت بان تسمح للشركس الذين هاجروا من القوقاس ان يقيموا في البلغار ليتخلصوا من الحكم الروسي فهولاء البرابرة الذين كانوا قد اعتادوا في جبالهم على معيشة النهب والسلب وتجارة النساء وبيعهنَّ وهم يرون ان الشغل بالارض لا يليق بالرجال منهم ظلموا فلاحي البلغار واجبروهم على الشغل وعاملوهم كعبيد وهذه الضربة القت البلغارين باليأس وعادت فنبهت الاحقاد القديمة ما بين مسلم ومسيحي فتسلح كل من الطرفين . وفي تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٥ نهبت سيلمشي وسكانها من المسيحيين . وفي اوتليكاني وستريالتزا ذبح المسيحيون بعضاً من المسلمين . ومن ثم ترك على البلغارين الوف من الشركس ونحوهم (باشبزق) وعومل الطائعون معاملة العصاة الثائرين . وظهر من مذكرة السفير الفرنسوي انهُ بثلاثة

اشهر ذبح عشرون الف مسيحي وقد اتهم كثيرون من الكتبة
الحكومة الحالية بانها راضية عن الذابحين فاغضب ذلك اوربا
حتى ونفس انكلترا التي كان وزيرها الاول وسفيرها بالاستانة
يوكدان عدم وقوع مثل هذه الحوادث في لوندرا فنشرت
مطبوعات كثيرة واتخذ حزب الاحرار من الاضطهادات
البلغارية سلاحاً لمقاومة الوزارة

فهذه الاشاعات والاخبار كانت تلهب شديداً الحماسة
السلافية في كل روسيا وفي النمسا لان اكثر الصقالبة النمساويين
جنود وهم يتكلمون تقريباً بذات اللغة التي يتكلم بها صقالبة
الدولة العلية كبوسنه وهرسك واهالي الولايات السربية والجبل
الاسود. ولذا كان الهيجان عظيماً على الارض النمسوية. وقد
اكدت الجرائد العثمانية بناء على افادات القواد الذين يحاربون
العصاة انهم يرون اكثر من نصفهم من رجال السرب والجبل الاسود
ولم يكن الامير ميلان حاكم السرب والامير نقولا حاكم الجبل الاسود
قادرين على اخفاء ما استكن في صدريهما من الميل الى العصاة
فسمحا بتطوع كثير من قطيعاتهما وسلحا كثيراً. وقد احضر
الجنرال تشرنايف مفتتح تاشقاند لاستلام قيادة جيش سربي
وكثيرون من الروسيين كانوا يتطوعون وقد اكثرت الجمعيات

الروسية من ارسال الاسلحة والدراهم. وفضلاً عن ذلك فان
ضباطاً وعساكرقدماء دخلت من الارض النمسوية الى السرب
ولم تكن اقل من ذلك محبات واميال الشعوب العثمانية
ولاسيما المسلمين. وحينئذٍ في ليل ٢٩ و٣٠ ايار (مارس) انزل
حضرة ساكن الجنان السلطان عبد العزيزخان بواسطة اتفاق بين
العثمانيين في الاستانة دخل بهِ وزيرهُ الاعظم وغيرهُ من وزرائهِ.
وفي ٢٣ حزيران (جون) اشهروا خبر وفاتهِ لعموم الهيئة العالمية
فخلفهُ ابن اخيهِ حضرة مراد الرابع ومن ثم تنزل عن العرش بعد
ثلاثة اشهر وذلك بداعي انحراف اصيب بهِ عقلهُ وعليهِ قضت
يد العناية الالهية بقيام من استحق الخلافـــة العظمى وهو حضرة
السلطان بن السلطان السلطان عبد الحميد خان اخي حضرة
السلطان مراد الرابع وذلك في ٣١ آب (اوغسطوس) سنة١٨٧٦
وكانت الحرب قد ابتدأت. ففي حزيران (جون) عقد
امير السرب والجبل الاسود اتفاق دفاع وهجوم تجاه تهديدات
الباب العالي. وفي ١ تموز (جوليه) اجتازت جيوشهما الحدود.
فهاجم الجبليون في تريبينيه الجنرال فروند المدعو محمود باشا
وحاصروا الثلاث محلات نيكسيخ وبوغوزيتا وميدون وكان
السربيون اقل حظاً منهم. وعوض ان يدخل تشرنايف الى بوسنه

وبعضد الجبليين خطر له ان يهجم على بلغاريا وقسم جيشهُ الى ثلاث فرق لحفظ الحدود من الغرب ومن الجنوب الغربي ومن الشرق واجتاز هو الحدود من الجنوب الشرقي ودار قلعة نيسخ وتقدم في طريق صوفيا الى حد بروث واذ ذاك وجد نفسهُ امام قوات تفوقهُ كثيرًا وقد تضجر من فرقة الشرق حيث تقهقرت وعليهِ التزم ان يرجع ومن ثم زحف العثمانيون على السرب من وادي مورافا تحت قيادة عبد الكريم باشا القائد العام حيث كان تحت امرتهِ نحو مائتي الف رجل . فضرب السربيين في غرامادا وفي بانديرولو وفي كنياجيفتز وذلك من ٢٥ الى ٣١ تموز (جوليه) . ثم سقط تحت متاريس الكسيناتز بعد معركة خمسة ايام اي من ٢٠ الى ٢٤ آب (اغوسطوس) ولذلك ترك ذاك الموقع وتدرب نحو بلغراد في الضفة الشمالية من نهر مورافا . وحينئذٍ ذهب التداخل الاوربي في المرة الاولى وعادت المقاتلات وتغلب الجيش السربي في اول الامر على الجيش العثماني في اكثر الجهات وذلك بمعركة دموية دامت ثلاثة ايام من ١٩ الى ٢٠ تشرين الاول ولكن اسند الجيش العثماني بنجدات جديدة فزحف وقهر الجيش السربي وكسرهُ شر كسرة وقاتل تقريبًا كل المتطوعين حول تشرنايف ومن ثم تفرقوا امام القوة

العثمانية . ومن جرى هذه الكسرة كان التاثر شديداً في روسيا كما كان في بلغراد نفسها وهاج الدم الروسي في جينيس وظهر على ان الشرق ربط بهِ ولقد كان قضي الامر على النفوذ الامبراطوري لو ترك القيصر السرب ان تسحق تحت سطوة الدولة العلية لكن اغناتيف سفير روسيا في الاستانة سلم الباب العالي لائحة نهائية بهِ يدعوهُ بالزام ان يوقع على هدنة الحرب ولم يترك لهُ فرصة سوى ثماني واربعين ساعة فاجاب الباب العالي ومنح السربيين والجبليين هدنة شهرين

وكانت الدولة العلية قد ارسلت الى ساحة القتال عدداً عظيماً وظهرت بقوة وشهامة عجيبتين ولم تكن الفرق الصغيرة اقل عدداً من الثائرة في الهرسك ولذلك كان الامل يرجح بالرجوع الى الحرب ولم تكن روسيا قد حكمت بانهُ حان الزمان للتداخل علناً وتركت السياسة الاوربية تصرف جهدها باطلاً ضد الثبات العثماني

وفي ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٧٦ ابدى اسكندر الثاني قيصر روسيا في اثناء حديثهِ وهو في موسكو اندهاشهُ من الجبليين وشفقتهُ على الطوائف المسيحية وفي ١٣ منهُ قدم البرنس غورتشاكوف مستشار روسيا اوبالحري وزيرها الاول لائحة

الى المجالس في روسيا يطلب تجهيز ست فرق من الجيوش

واما فرنسا فانها لازمت الحيادة والمانيا وقفت وقفة المراقب ترى الى اين تنتهي الاحوال وقسمت النمسا بين الخوف من انهُ ربما خدمت الحوادث روسيا فتقدم لها فرصة للاتساع وبين التجربة من انها تربح هي نفسها وانكلترا كانت تظهر حد رغبتها الشديدة بالبقاء على الحيادة والسعي بالوفاق واخذت على نفسها تدبير المسألة وعرضت التئام مجلس دولي في الاستانة العلية

وفي نفس اليوم الذي التئم بهِ ذاك المجلس اي في ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) نشر الصدر الاعظم القانون الاساسي بامر حضرة صاحب الخلافة الكبرى المؤذن بالاصلاح العثماني وبهِ يهب كل شعوب المملكة الحرية في كل الاجراءات الدينية والمدنية والادبية وطلب اقامة مجلس قضائي وانشأ مجلس مبعوثان فظهر من كل ذلك عظم الرغبة التي كانت للدولة العلية بالتخلص من المداخلات الاوربية الظالمة . وفي ١٤ كانون الاول (دبسمبر) قدم المجلس الدولي لايحة ومن ثم قلبت الى لايحة نهائية في ٥ كانون الثاني (جانفيه) سنة ١٨٧٧ . وقد طلب بها توسيع اراضي الجبل الاسود والاستثنا للسرب ووهب حرية الانتخاب لبوسنه وهرسك والبلغار مع اقامة جمعيات وطنية

منتخبة وحكام مسيحيين ينتخبون بقبول الدول واصلاح الاحكام والقوانين وابعاد الشركس والعساكر الغير منتظمة (باشبزق) واقامة عسكرية منظمة من البلاد نفسها ومنح العفو العام لعموم الثائرين وعرضت الجمعية الدولية للباب العالي بانهُ اذا لم يقبل تماماً بهذه الاصلاحات فوكلاء الدول الاوربية يطلبون تذاكر للسفر . فلم ترَ الدولة العلية الى هذه التهديدات بعين الاعتبار ورأتها من باب الوهم وتاكدت من السار ليارد عدم اسناد القوة الى الفعل لان انكلترا كانت ترغب ان الاصلاح يجرى من نفس الدولة العلية ذاتها وليس من اوربا فقاومت في ذلك والذي زادها شجاعة في هذه المقاومة هو عدم ثبات مقاصد الامبراطور اسكندر الثاني الظاهرة

وكان في روسيا قسم مهم من رجال الحكومة والاعيان يمانعون في الحرب و يظهرون كل احتقار بالسربيين ويطعنون بالاميال التي تبديها الامة الروسية لجهة الحرب مظهرين اشمئزازاً عظيماً من الذين تطوعوا بين العصاة بحيث ان بواسطتهم حكم على روسيا بالمداخلة حفظاً لشرفها كونهم من ابنائها وقد ربطوها بالسرب لدخولهم بينهم . وكان هولاء يقاومون كثيراً بانفاذ مقاصدهم لعدم المداخلة بحرب طويلة ولذلك لسبب

نقصان الميزانية في كل البلاد ولداعي القوائم الورقية المنحطة زعموا ان الجيش غير منظم وان عمارة البحر الاسود لا تزال اضعف من العمارة العثمانية . واما السلاف فكان همهم ان يصلوا الى تقرير مقاصدهم وهو تحرير الصقالبة وانتصارهم على حكومتهم وامتداد السلطة الروسية الى كل الشرق . فاسند مقاصدهم بالفعل الكراندوق نقولا اخو الامبراطور اسكندر الثاني واغناتيف سفير روسيا في الباب العالي وميليوتين وزير الحربية والشهير كاتكوف . وكان القيصر منقسماً بين هذه الاميال فمن جهة يرغب في السلم كثيراً ليصون الصوالح الاوربية ويحقن دماء العباد ومن جهة ثانية كان يرغب في محو معاهدة باريس اي معاهدة سنة ١٧٥٦ وايضاً كورتشاكوف كان متحيراً بين الخوف من ان يخسر تلك الاميال الموجودة في قلوب الروسيين من نحوه وبين الخوف من وقوع حوادث عظيمة مهمة تحمل روسيا اثقالاً لم تنتظرها ومع ذلك فقد راى الامبراطور ومستشاره كورتشاكوف ان الاستعداد للحرب ضروري فاقام به حتى اذا تم اخذوا في سبر افكار الدول واستمالة الاميال على انه وان كانت انكلترا تهددت روسيا كثيراً فالمانيا كانت تعضدها وتدفعها الى القيام بالحرب وقد اكد اركان الحرب البروسي ان ٥٠٠٠٠٠ رجل يكفي لقطع

البلكان والمشي على الاستانة

وكان مدحت باشا قد فاز بنجاح اولي اذ ارجع اللائحة النهائية بواسطة قيام مجلس وطني التأم اثناء اجتماع المجلس الجديد وفاز ايضاً بنجاح مهم اذ وقع في ١ اذار (مارت) سنة ١٨٧٧ على الصلح مع السرب على اساس الحالة الاولى واراد مع ذلك ان يتعاهد مع الجبل الاسود فيكون بذلك قد انهى الخلاف واخمد الثورة في بوسنه وهرسك ويكون قد محا كل حجة لمداخلة اجنبية لكن المطالب المتناقضة التي بين حكومة الجبل والباب العالي المنتصر اوانئذٍ في كل جهة اسقطت المفاوضات

ومن جرى لائحة نشرها الكونت كورتشاكوف في ٢١ كانون الثاني (جانفيه) ١٨٧٧ وخطة اغناتيف حملت الدول الى الانتباه الى ظهور سياسة اوربية جديدة . ومنشور لوندرا الذي اذيع في ٢١ اذار (مارت) بهِ يدعو الباب العالي الى ترك السلاح ويعلن ان الدول ساهرة على الراحة لذلك ستجري باعتناء الاصلاح الموعود بهِ فاجابت روسيا على هذا المنشور انها لا تقتنع بذلك الا اذا كان الباب العالي يوقع على شروط الصلح المطلوبة من الجبل الاسود . وعليهِ فقد التئم المجلس العثماني . واول بنودهِ التي قررها انهُ طلب مداومة الحرب مع الجبل

الاسود فكان من معنى هذا البند المستتران دعا روسيا للحرب . فاقامتها

الحرب بين روسيا والدولة العلية ومعاهدة سان استيفانو

بعد ان تقرر في العقول ان الحرب ستكون عظيمة اخذت كل من الدول ان تهتم بشان مصلحتها وتوسعت الجرائد الاوربية في البحث هل من الممكن الوقوع في حرب عمومية ام لا غيرانها حصرت بين المتحاربتين فقط . وقد اجتمع جيشان روسيان . الواحد حول كيشانيف في بسارابيا والاخر على حدود ارمينيا . وكان يقيد الاول الكراندوق نقولا وحولهُ نيبوكوا تشيتسكي وليفيتسكي كاركان لحربهِ وكان هذا الجيش يؤلف من سبع فرق تحت امرة حضرة ولي العهد والقواد زمارمان وفانوفسكي وشاكوفسكي وكرودنر وارادتسى الخ . وكان يتالف من ٢٥٠٠٠٠ الف رجل والجيش الثاني كان يامرهُ الجنرال لوريس مليكوف

من اصل ارمني وكان يبلغ ٦٠٠٠٠ الف رجل . ولم تهمل روسيا شيئاً من جلب الرومان اليها وقد وعدت بالحرية المطلقة الفلاخ والبغدان واملتهابزيادة اراضيها . وكانت الدولة العلية قد نشرت اعلاناً بعثت به الى سفرائها لدى الدول ليبلغوها لها بهِ تقيم الحجة على روسيا باجتيازها الحدود دون اشهار الحرب بصفة رسمية . وهذه صورة الاعلان المذكور

ان روسيا قد شهرت الحرب على السلطنة العثمانية بارسال رسالة الى وكيل سفيرنا في بطرسبرج من امضاء البرنس كورتشاكوف وذلك امس صباحاً في ٢٤ الجاري وورد الينا في نفس ذاك الصباح وقبل ان وصلت هذه الرسالة الينا ابتدأت الجيوش الروسية بالحرب وحملت على حدودنا في اسيا . فاسالك (السفير) ان تبلغ ذلك الى الدولة التي انت مامور في قاعدتها مبيناً في ذلك التصرف من مضادة القوانين الدولية التي تحافظ البلدان المتمدنة عليها واسالك ايضاً بان تفيدها بان الباب العالي يقيم الحجة على هذا التصرف ولاسيما انها شهرت الحرب من دون ان تطلب توسط الدول بحسب واجباتها المقررة في المادة الثامنة من معاهدة سنة ١٨٥٦ . وتجعل مقابلة بين استخفاف روسيا بواجباتها الدولية واعتناء الباب العالي بالمحافظة عليها

منذ رأى ان الحرب قريبة واجتهدت بحمل الدول المتحابة على المداخلة بطلب توسطها رسميًا مراعاة لصوالح السلام الاوربي ولحقوق الانسانية والمأمول ان حكومات اوربا والراي العام فيها ترى الى هذه الاعمال وتنظر اليها عندما ترى لزومًا ان تلحق بكل من الدولتين ما يخصها من المسئولية عن المحاربة الناشئة عن المحاربة التي قد صار الابتداء بها . انتهى

وكان في تلك الاثناء قد نشر الامبراطور اسكندر الثاني اعلان الحرب واسنده كورتشاكوف باعلان مطول بين به الاسباب الموجبة لاشهار روسيا الحرب وهذه صورته

منذ ابتداء المشاكل الشرقية قد افرغت الحكومة الامبراطورية الروسية جهدها في سبيل تقرير اتفاق بين الدول بجعلها تتواطا على تثبيت صلح دائم مع الدولة العثمانية . غير ان الباب العالي كان يرفض بعناد جميع ما اشارت به الدول بالتتابع مما نشا عن الاتفاق الذي جرى بينها . والبروتوكول الذي افضي في لوندرا في ١٩ و ٢١ اذار (مارت) في هذه السنة هو عبارة عن القرار الاخير المتضمن ارادة اوربا المتفقة . واشارت الحكومة الروسية به وجعلته الاجتهاد الاخير المصروف في سبيل التسوية واعلنت في ذلك التاريخ بورقة مرافقة للبروتوكول

الشروط التي من شانها تقرير السلام اذ قبلتها الحكومة العثمانية
بامانة وخلوص الباطن وانفذتها حق الانفاذ . فقد اجاب
الباب العالي الان رافضاً قبولهُ . ولم يذكر البروتوكول المقرر في
لوندرا ماذا يجرى اذا رفضهُ الباب العالي . وقد تضمن البروتوكول
ارادة اوربا وقرارها وقد حصر في انهُ اذا خابت آمال الدول
تتخذ هذه الوسائل التي تاول الى تحسين حالة المسيحيين وهي
الوسائل التي قرر باجتماع بانها ضرورية لاراحة اولئك الاهالي
ونفعهم وتقرير الصلح العام

وهكذا خطر لوزارات الدول ببال انهُ ربما كان الباب العالي
يقصر عن القيام بوعدهِ ولكنهُ لم يخطر لها ببال انهُ رفض مطالب
اوربا . وقد قرر اللورد دربي في ذيل البروتوكول ان الحكومة
الانكليزية لم تقبل ان تمضي البروتوكول الا لترقية اسباب السلام
العام فاذا لم يفز بذلك ولاسيما اذا لم تسرح الدولة العثمانية وروسيا
جنودهما يكون البروتوكول باطلاً . فرفض الباب العالي والاسباب
التي بنى رفضهُ عليها قد قطعت الامل من انهُ يقبل الان
بمشورة اوربا وينفذ ارادتها بضمانات تضمن نفوذ اصلاحات اشير
بها لاصلاح حالة المسيحيين رعايا الباب العالي . وقد امسى
عقد الصلح مع الجبل الاسود غير ممكن من جرى ذلك ولا سبيل

الى القيام بالشروط التي تاتي بتسريح الجنود والتسوية السلمية ،
وبالنظر الى هذه الاحوال . قد انقطعت حبال الامل من بلوغ
التسوية بالاجتهاد ولا بد من اطالة زمان احوال قد قالت
الدول انها لا توافق صوالحها ولا صوالح اوربا عموماً اومن
محاولة انفاذ ما لم تفز الوزارت بانفاذهِ بالحسنى والبراهين
والادلة وذلك بالقوة الجبرية . فمولانا المعظم قد صم على ان يقوم
بالعمل الذي دعا حضرتهُ الدول العظيمة الى القيام بهِ معهُ . وعليهِ
فقد امر جيوشهُ بان تعبر الحدود العثمانية . وبالقيام بذلك يتم
واجبات انتدب اليها بالضرورة مراعاة لصوالح روسيا التي قد
تاخر تقدمها السلمي بالاضطرابات والقلاقل الجارية بدون انقطاع
في الشرق . وقد تقرر عند جلالتهِ انهُ بهذا العمل موافق لاراء
الدول ومراعٍ لصوالحها . انتهى

هذا ولدى مطالعة اعلان الباب العالي يظهر ان الحرب
كانت على غير ارادتهِ وانهُ كان يومل بنهاية سلمية اذا طالت
مدة المخابرات وان روسيا اعلنت الحرب ومشت حالاً بدون
طلبها توسط اوربا الاخير . وعند مراجعة اعلان كورتشاكوف
يظهر ان حكومتهُ كانت في بادي الامر لا ترغب في الحرب وانهُ
لم يكن من غايتها الطمع قط وجل ما تطلبهُ القيام براحة المسيحيين

وانها سيقت الى الحروب رغماً عليها لرفض الباب العالي طلب الدول وعليهِ فاننا نترك الحكم في ذلك للمطالع الذي سيستنتج من وقوع الحوادث نتيجة تظهر لهُ المقاصد بجلائها

ولما وصل الكراندوق نقولا بجيوشهِ الى رومانيا نشر الاعلان الاتية ترجمتهُ على اهالي الفلاخ والبغدان · وهو

ان الجيش الكائن تحت قيادتي لمحاربة العثمانيين يدخل اراضيكم اليوم بامر الامبراطور وقد قبلت الفلاخ والبغدان تكراراً الجيوش الروسية بفرح · فاقول لكم اننا آتون كاصدقاء لا نرغب الا في صوالحكم · والمامول ان نصادف عندكم العواطف الكريمة التي ابانها سلفاؤكم للجيوش الروسية في الحروب السابقة التي انتشبت نيرانها بيننا وبين العثمانيين فلموافقة الاوامر من واجباتي ان اخبركم ان مرور الجيش الروسي يكون قصير المدة ولا يثقل عليكم لان حكومة الفلاخ والبغدان صديقتنا فاطلب اليكم ان تتعاطوا اشغالكم الاعتيادية وان تاتوا جنودنا بالوسائل التي تمكنهم من الحصول على كل احتياجاتهم · وقد اتخذت جميع الوسائل لتدفع خزينة الجيش بالنقد اثمان كل ما تشتريهِ · ومن الواجب ان تعرفوا الانتظام الجاري في الجيش الروسي · ومن الموكد عندي انهُ يصون ناموسهُ ولا يكدر بشيء راحتكم ويحترم قوانينكم

وعاداتكم واملاككم يا ايها الفلاخيون والبغدانيون ان سلفاءنا هرقوا دماءهم في سبيل حريتكم ولذلك اظن انهُ يحق لنا ان نطلب اليكم ان تساعدوا الجيش الذي يمرُّ في بلادكم لمجرد نجدة المسيحيين العثمانيين المنكودي الحظ الذين قد حركت مصائبهم شفقة روسيا واوربا كلها . انتهى

وبعد اشهار الحرب ذهب قيصر روسيا الى موسكو وهي من اعظم مدن روسيا وكانت قاعدتها منذ زمان ليس بطويل فاتاهُ اهلها وقدموا لهُ خطبًا تدل على انهم ارتضوا بالحرب لانها في سبيل الله . وهذه الخطب نشرت في كل الامبراطورية لتهيج الامة . فاجتمعت عمدة الامراء بالامبراطور قبل الاهالي بالوكالة عن امراء الولايات وقدم رئيسها الكونت بوبرفسكي الخطاب الآتية صورتهُ

يا ايها الامبراطور المعظم . ان روسيا قد نهضت مصلية بشفتيها وقلبها اطاعة لامرك باسم المسيح لتقوم باتمام امر عظيم عادل . وقد حل الزمان الموافق للامراء ليظهروا بانهم يستحقون المركز الذي هم فيهِ وبحسب عادة سلفائنا قد اصبح اولادنا واخواننا منتظمين في صفوف جيشك الباسل . ولا نقدر جميعًا ان نشترك بمجد الامتياز في الصفوف الامامية في حرب عدو هذه

البلاد الموروث لتخليص اخوتنا المستعبدين غير اننا جميعاً نقوم بواجبات مهمة وان كانت سلمية وهي خدمة المرضى والجرحى بروح الحب الاخوي من كل قوتنا . فليساعدك الله يا ايها الامبراطور المحبوب في هذا المشروع العظيم المقدس . انتهى

وبعد ان انتهى خطاب اولئك الامراء دخلت عمدة الاهالي مع وكلاء مجلس المدينة وقدموا للامبراطور الخطاب الاتي

يا ايها الامبراطور المعظم . قد دعوتنا الى القتال وكل روسيا تضج فرحاً . وبعد ان جمعت جيوشك للقتال جئتنا واظهرت نفسك للشعب ضمن اسوار هذه المدينة القديمة . لقد ملئ الهواء بضجيج الشكر والبركات . ولم يحيك قط شعبك الخاضع بحرارة وشكر كهذه المرة عند اصغائه لتحريضك الحربي فهذه ساعة مهمة مقدسة . وبعد ان تكلمت يا ايها الامبراطور اصبح ناموس روسيا وضميرها يتنفسان بحرية وشعبك عالم بانك انت احب الامبراطورين للسلام لا تسل سيف روسيا قياماً للمجد الباطل ولكن باسم المسيح لمساعدة اخوتنا السلافيين المتضايقين كثيراً . ولا تدفع جيوشك الباسلة الى ما وراء الطونة لتستعبد الناس وتخرب البلاد ولكن لتاتي بالحرية والتقدم

ولتجعل لقبائل من ديننا وجنسنا وجوداً جديداً يسوقها الى النجاح. فما من حرب اعدل من هذه الحرب فروسيا تبارك الله الذي قد امرها بان تقوم باعباء هذا الخصام المقدس العظيم وتتوسل اليه ان يمكنها من ان تبين انها اهل للقيام بماموريتها وقادرة على انفاذها متغلبة على اخصامها وعلى وساوس الذين يكتفون بحكمتهم. هذا وانك تشفق على ضحايا الحرب وقد طالما رغبت في حجب الدم الروسي العزيز جداً عندك فاخرت يوم القتال. فالكلام الناشئ عن الحب الذي تفوهت به يضمن نجاحنا فلا يهرق الدم الروسي بالباطل. وصوت موسكو هو صوت روسيا. فانت امين لروسيا يا ايها الامبراطور فسر بحميتها العاضدة في ساعات المشاكل الاتية. واجعل حبنا حولك كدرع منيع فحب روسيا صحيح ثابت وياتي بالعجائب

فاجابهم الامبراطور

انني اشكركم على ما ابنتم من العواطف. وكنت متاكداً بانكم لا تفوهون الا بما يرضيني بعد الخطاب الذي خطبته في موسكو والاعلان الذي نشرته وانتم عالمون بانني قد افرغت جهدى في سبيل تسوية الامور سلمياً لحجب الدم الروسي العزيز ومجانبة الاضرار بالاعمال. وقد قضى الله القدير ان يبين لنا السبل التي

ينبغي لنا ان نقطعها لنبلغ مقصدنا فلنتكل على رحمته تعالى . وقد اشتد سروري بما اظهرتم من العواطف لانني ارى فيها اعمالاً فضلاً عن الكلام . فالعطايا التي بذلتموها تقلل ضحايا الحرب فاشكركم من صميم الفؤاد وارجوكم ان تشكروا المدينة كلها

هذا وقد قطع الجيش الروسي من ثلاث محلات حدود البروث ونقدمت فرقة من الجيش بسرعة عجيبة فقطعت مائة افرست باربع وعشرين ساعة وامتلكت على جسر باربوش عند السريت . واجتاز الجيش الروسي رومانيا وقرب من الضفة الشمالية من الدانوب وكان يحرس النهر اسطول عثماني فاحرق منهُ بالتوربيل امام ماتشين مدرعة وتكسرت اخرى بواسطة كلة اصابت مخزن البارود فيها فالتزمت البقية ان تخرج الى البحر . وحيث ان العثمانيين اطلقوا المدافع على كالفاط (مدينة رومانية) اشهرت رومانيا نفسها حرَّة وارسلت ستين الف رجل لتكون جناح الجيش الروسي

وكان قائد الجيش العثماني العام عبد الكريم باشا فلم يتوصل الى معرفة جمع جيشهِ . وكان سليمان باشا مشغلاً عند حدود الجبل الاسود وعثمان باشا حول ويدن ومحمد علي باشا عند اسفل الدانوب واما عبد الكريم باشا فكان مقيماً في شوملا فلم

يقدران يمنع مرور الدانوب واتهمهُ الانكليز والكثير من العالم
بانهُ تغاضى عن الروسيين ليمروا الدانوب وزعموا ان روسيا
قطعتهُ على نهر من ذهب اي ان ذاك الباشا خان حكومتهُ .
فاجتاز النهر الجنرال زمارمان عند هيرسوفا وغالاتز ودخل الى
دوبرتيستشا وبعد ذلك بخمسة ايام اي في ٢٢ حزيران (جون)
اجتاز معظم الجيش الروسي النهر بدون ان يصادف مقاومة
مطلقًا مع انهُ كان يظن انهُ لا يقدر على اجتيازهِ الا بعد خسارة
لا اقل من ثلثهِ او ربعهِ ودخل فارسوفا وامتلك الجنرال كرودنر
حالاً نيكوبوليس واقام عند الفيد واما الدوق اسكندر ولي
العهد فقد قطع ياترا وهدد روستجق والجنرال غوركو اقام
بعمل جسور عند البلكان فانهُ كبس مضيق شيبكا ووصل مقدمة
جيشهِ الى الروملي . وقد قُطع الحاجزان العظيمان وهما الدانوب
والبلكان ومن بحيرة ماريتسا ظهر ان طريق الاستانة فتحت
للروسيين وذلك في تموز (جوليه) سنة ٨٧٧! . لكن توقف
نجاح الروسيين بغتة لان وزير الحرب في الاستانة فصل وعبد
الكريم باشا القايد العام منع من القيادة وطلب واسرع سليمان
باشا من الجبل ووقف بطريق الاستانة وتقدم عثمان باشا من
ويدن وقطع فيد ووقف في بلافنا بموقع قوي جدًا ومحمد علي

باشا خرج من روستجق وتقدم لملاقاة الدوق اسكندر ولي العهد الذي كان وصل الى لوم

وفي ٢٠ تموز (جوليه) هجم شيلدنرشورتر احد القواد في جيش كرودنر على بلافنا ومعهُ ستة الالف رجل فقط فتقهقر وفي ٣٠ اعاد كرودنر الهجوم فتقهقر ايضاً وفي تلك الاثناء قام محمد علي باشا بعدة وقعات مهمة تجاه الوريث الروسي من ٢٢ آب (اوغسطوس) الى ٥ ايلول (سبتمبر) وذلك في اياسلار وفي قره حس كوي وكاتزلو وايلوفو والزمهُ ان ينثني الى ما وراء يانترا. واما سليمان باشا فقد ارجع مقدمة جيش غوركو واستعد لان يسترجع مضيق شيبكا

وقد جرَّب القواد العثمانيون الثلاث لان ينضموا الى بعضهم ولاجل ذلك كان من الواجب ان يستولي سليمان باشا على شيبكا وان ياتي الاخران الى مساعدتهِ في تلك النقطة الا ان سليمان باشا في مواقع اخر من ١٦ آب (اوغسطوس) الى ١٧ ايلول (سبتمبر) سقط امام الروسيين ومحمد تقهقر في تسر كوفنيا وفي ٢١ ايلول تنازل عن الدفاع وعثمان باشا تقهقر من سكاينتز وعاد الى بلافنا

وعلى هذا الوجه منع الروسيون انضمام الثلاث قواد

العثمانيين ولكنهم هم نفسهم توقفوا عن التقدم لانهم وجدوا محصورون على مسافة صغيرة من بلغاريا بين المواقع التركية فبلافنا عند الغرب والبلكان ومضيق شيبكا عند الجنوب واليانترا عند الشرق

ولا يمكن ان ننسي هنا الاهتمام العظيم الذي كانت تقوم بهِ الصقالبة في البلغار امام الجيوش الروسية فكانت تسير امامهم في المواقع وتقوم بخدمتهم في احتياجاتهم اثناء الحرب وفي وقت السلم وكان جلالة القيصر قد نشر بينهم اعلانًا مهيجًا محركًا لهم مظهرًا فيهِ ان هذه الحرب كانت لاجلهم وهذه صورة الاعلان

لقد اجتاز جنودي الطونه. واليوم يدخلون اراضيكم حيث حاربوا مرات عديدة لتحسين حالة الاهالي النصارى في البلكان اما سلفائي فقد حافظوا على تقليداتهم التاريخية القديمة وطالما جددوا قوتهم بالصلات التي ربطتهم منذ قرون بالشعب الارثوذكسي فنجوا بسطوتهم واسلحتهم بان يحسنوا بالتتابع حالة السربيين والرومانيين وبان يجعلوا لهم وجودًا سياسيًا جديدًا. ولم تتغير حاسيات روسيا بمرور الزمان وتقلب الاحوال بالنظر الى ابناء ديننا في الشرق. ولا يزال حبها للعائلة العظيمة المسيحية في البلكان واهتمامها بامورها على ما كان عليهِ. وقد سلمت الى

جيشي تحت قيادة اخي الكراندوق نقولا مامورية صيانة حقوق
جنسيتكم المقدسة المتضمنة شروط التقدم السلمي والنجاح المنتظم
في الوجود المدني . ولم تحصلوا على هذه الحقوق بالدفع بالقوة ولا
بالسلاح ولكنهُ مكافاة عما احتملتموهُ منذ قرون كثيرة

فيا اهالي البلغار ان غاية روسيا ان تبني وليس ان تهدم
فانهُ قد اتيح لها بان تكون واسطة للتسكين وتسوية امور الاجناس
وجميع الطوائف في المحلات التي يقطنها اناس مختلفو الاديان
والاصول . ومن الآن وصاعداً ستصون الاسلحة الروسية كل
مسيحي من وقوع التعدي عليهِ . ولا يتعدى احد على الاشخاص
والاملاك ويتبع كل ذنب القصاص اللائق وستصان حياة كل
مسيحي وحريتهُ وناموسهُ واملاكهُ مهما كانت طائفتهُ . ولا تكون
اعمالنا موسسة على الانتقام بل نجعلها مقيدة بالانصاف التام
وبالاصرار على المحافظة على النظام والحقوق . ويصعب عليَّ ان
اصرف النظر عن الذين تعدوا من المسلمين على النصارى الذين
لم يدافعوا ولا تعدوا فلا تنسى روسيا التعديات البلغارية . غير
انها لا تسال الكل بذنوب البعض . فسيحاكم المذنبون اصولياً
ويقاصون نظامياً لانهم لم يقاصوا مع ان حكومتهم عرفتهم . فاقروا
بعدل الله واخبروا الحكام باحتياجكم فاني اعينهم اينما دخلت

جنودي . وكونوا من الاهالي المحبين للراحة في هيئة اجتماعية مستعدة لان تمنحكم نظاماً قانونياً . فوجودكم واملاككم وحياة عيالكم وناموسها مقدسة عندنا نحن النصارى

يا ايها البلغار . انك تقطعين زماناً مهماً وقد حلّت الساعة لتخليص اهلك فبينوا للعالم ان فيكم الحب المسيحي واطرحوا في زوايا النسيان انشقاقكم القديم ومنازعاتكم ومخاصماتكم المتعلقة بحقوق كل طائفة واتحدوا مع اخوتكم في الدين بحاسيات الاتفاق والحب الاخوي وهي اساس بناء متين دون غيرها . واجتمعوا بانضمام في ظل الراية الروسية التي كثيراً ما انتصرت في الطونه والبلكان . وبتقدم الجنود الروسية تبدل الادارة . وسيدعى الاهالي الى الاشتراك فيها تحت مناظرة حكام اولين . وستقام جنود بلغارية لتكون اساس قوة محلية مسيحية للمحافظة على الراحة والامانة . فما تظهرون من الغيرة في خدمة وطنكم بالامانة وخلو الغرض لاتمام هذه الواجبات المهمة يبرهن للعالم انكم تستحقون النصيب الذي اعدته روسيا لكم في سنين كثيرة بتكبد ضحايا عظيمة . فاطيعوا الحكام الروسيين واتبعوا بامانة اشاراتهم فانكم بذلك تستامنون وتتقوون . وبخضوع اطلب الى الله تعالى ان ينصرنا على اعدائنا وان يبارك على مطلبنا العادل . انتهى

وكان لهذا الاعلان وقع عظيم في البلغار . وبعكس ذلك فان جمعية بولونيا التاريخية بعثت من لوندرا بتحريضات مهمة تحذر البلغاريين من روسيا وتنذرهم من رداءة مستقبلهم جاعلين انفسهم قدوة لهم وهذه صورة تلك التحريضات البولونية

يا اخوتنا المسيحيين السلاف . ان حوادث مهمة جداً جارية في البلغار . ومنذ زمان طويل اخبركم اعضاء الجمعية السلافية في موسكو ان امبراطور روسيا يهتم جداً بتحسين اموركم واحوالكم . والان قد زحف بجيشهِ الى بلادكم مدعياً بانهُ يفعل ذلك ليخلصكم من الظلم فبالطبع تبادرون الى ملاقاة المخلص بالترحاب والشكر . ولا سيما بعد ان تروا المشقات العظيمة والخسائر التي يتكبدها لاجلكم حتى يقال انكم مستعدون لان تبذلوا نفوسكم واموالكم واستقبال بلادكم في سبيل خدمتهِ

يا ايها البلغار . اذا لم تشكروا الذين يحبونكم لا تستحقون ان تدعوا بلغاريين . على ان كثيراً منكم حكماء واصحاب حزم يحسبون لعواقب الامور فلا يركنون الى مجرد الكلام . فانهم ينظرون الى الاعمال

يا ايها البلغار ان البولونيين هم مثلكم سلاف ودخلت روسيا بولونيا كما دخلت البلغار مدعية انها تروم ترقية اسباب

الحرية الدينية وليس لها مقاصد ناشئة عن حب الذات فصدق كثيرون من البولونيين اقوالها وترحبوا بمساعداتها كما تترحبون انتم · فاسالوا انفسكم السوالات الاتية · وهي هل انتفعت بولونيا بصداقة روسيا هل فازت بالحرية الدينية او بالادارة الاستقلالية وبالمشروعات الوطنية والنجاح والمعارف والتقدم بالعلوم واللغات يا ايها البلغار · ان عكس هذه الامور نشأ عن صداقة روسيا فانهُ كان لبولونيا نظامات حرة قبل مداخلة روسيا . فباتت بدون نظامات · وقبل صداقة روسيا لم تكن تعرف شيئًا من القرعة . اما الان فاولادها يساقون من بيوتهم ليسعفوا روسيا في توسيع املاكها بالاستيلاء على امم اسيا المستقلة · ولغتنا ذات الاتساع والتاليف قد منعت حتى في المحاكم . وقد حكم علينا بتعليم اولاد بولونيا الروسية فقط وان يتعلموا بها اذا تعلموا شيئًا مع عدد من الروس يزيد كثيرًا عن عددهم ليصيروا بالطبع روسيين ولا امنية لكنيسة مسيحية في روسيا ما لم تكن روسية وتدار من بطرسبرج

يا ايها البلغار . اصغوا لرجال يعرفون روسيا وقيمة عهودها ووعودها بالاختبار لمقلق · وليس لهم صالح ليخدعوكم ؛ فروسيا قد شهرت الحرب على الدولة العثمانية ليس مراعاة لصوالحكم كما

يظن الجهلاء منكم بل مراعاة لمطامعها وستحاول ان تضم البلغار
اليها او ان تضم الى بلادها قسماً عظيماً منها كما ضمت بسارابيا من
البغدان وبعد سنين قليلة تجعلها ولاية روسية ويقال انها
ابطلت البدل العسكري الذي كنتم تدفعونهُ للعثمانيين ·
فعوضاً عنهُ ستاخذ منكم خدمة اولادكم في العسكر ١٥ سنة في
سيبيريا او في القوقاس او في اواسط اسيا وفي حدود الصين
وستعلم اولادكم باللغة الروسية فقط . ولا تسمح باستخدام اللغة
البلغارية في المحاكم لان القضاة الذين تبعث بهم اليكم لا يفهمونها
وستصير كنيستكم القديمة تحت رئاسة اسقف روسي وليس تحت
رياسة اكسرخس بلغاري وتدار من بطرسبرج فبالحكومة العثمانية
ربما تيسر لكم ان تديروا انفسكم واما في الدولة الروسية فلا
يكون لكم الا ما لولاياتها الكثيرة الروسية والبولونية والفنلاندية
فتمسون بدون امتيازات سياسية لان روسيا ذات ادارة ظالمة
قاسية فيها انفس الناس واموالهم تحت رحمة امبراطورهم المطلق
تمنعوا قبل فوات الفرصة عن ان تسعفوا روسيا لانها اذا
انتصرت تمحو اثار جنسيتكم وتسحقكم باثقال الاموال الاميرية
والقرعة العسكرية وتجعلكم في حالة فلاحيها المنكودي الحظ .
ولكن اذا حدث ما ينتظر حدوثهُ وطردت من البلغار تترككم

كما تركت اهالي اسكي زغرا المراحم العثمانيين . فلنختم كلامنا بامر يكدرنا فاننا قد سمعنا انكم تتعدون . فيا ايها البلغار اننا نسمع هذه الاخبار بكدر فاليكم عن كل مغايرة لئلا تخسروا اشتراكنا معكم في الحاسيات وشفقتنا عليكم من جرى ما احتملتموهُ في السنة السابقة فنحرضكم على ذلك اكرامًا لانفسكم ومراعاة للدين المتدينين بهِ وانهُ يمنعكم عن ان تقابلوا الشر بالشر فابعدوا عنكم الانتقام وبرهنوا باعمالكم انكم لستم مسيحيين بالاسم فقط بل بقلوبكم . انتهى

واما في اسيا فان نجاح روسيا الاول اعقب بتقهقر وقتًا ما لان موريس مالاكوف كان قطع الحدود مع اربع فرق الاولى تدربت نحو باطوم والثانية على اردهان والثالثة حول القارص وقد امرت ان تمشي فيما بعد على ارزروم عاصمة ارمينيا والرابعة على بايزيد . وكان يامر على الجيوش العثمانية مختار باشا . فجيش باطوم الروسي اضطرب في موخرتهِ من العمارة العثمانية ومن فرق من الشركس المهاجرين والتزم ان يتقهقر الى الوراء . واما الثاني والثالث فقد استوليا على اردهان وحاصرا القارص ومشيا الى ارزروم والرابع اشغل بايزيد . فمن جرى المسير من القارص الى بايزيد هجم قوات عالية من العثمانيين على موريس مالاكوف

فكسرتهُ في زوين وذلك في ٢٦ تموز (جوليه) والتزم أحينئذٍ ان يرجع الى الوراء وان يرفع الحصار عن الفارص وينزوي الى الكسندربول وهي قلعة روسية ولم يحفظ من كل افتتاحاتهِ الا اردهان وبايزيد

وعلى هذا الوجه وجدت الجيوش الروسية في شهر ايلول متوقفة في البلغار ومتقهقرة في ارمينيا . والاختبارات التي سبرتها روسيا في اوربا وفي اسيا انذرتها بغلطها كونها احتقرت بخصمها كثيرًا وعرفتها ان النجاح لا يشرى الا باغلى الاثمان من الاجتهاد . فارسلت الحكومة الروسية خمسين الف رجل تعزيزًا لجيش اسيا وارسلت ماية الف ايضًا تعزيزًا لجيش الدانوب . فتدرب الحرس الامبراطوري الى البلغار وتقدم الرومانيون الى تحت اسوار بلافنا . وعادت ابتدأت الاعمال

وفي ٢ ايلول (سبتمبر) اخذ الروسيون من عثمان باشا لوفاتز ومن ثم باثناء ستة ايام بمعركة من ٧ الى ١٢ منهُ اشغلوا اول صف متاريسهِ وافتتح الرومانيون حصن غريفيتزا وقد كلف الهجوم على بلافنا خمسين الف رجل فالزم الامر الى وضع حصار قانوني . فتوتلبن الذي كان يحامي في الزمن القديم عن سيبستابول وكُلِّ باعمال الحصار فاجتهد بافراد بلافنا ومنع الاتصاليات اليها

وحين اجراء هذا العمل قهقر غوركو العثمانيين في غورفي دونبياك ودولني دونبياك في ٢٤ تشرين اول واستولى على تليش وقطع المواصلة بين عثمان باشا وصوفيا ومن ثم اشغل كل مضايق البلكان التي كان يمكن ان ينسحب منها جيش عثماني لمساعدة بلافنا. وفي ٩ تشرين الثاني ضايق سكوبيلوف المحصورين بواسطة استيلائهِ على الجبال الخضراء وفي ١٠ كانون اول عندما فرغت المؤن من بلافنا جرب عثمان باشا الخروج وقام بمعركة عظيمة تستحق الاعتبار اعقبها التسليم وتفصيل ذلك ان جنديًا عثمانيًا خائنًا فرّ من استحكام كريشن العثماني وجاء الصفوف الروسية يوم الاثنين في ١٠ كانون الاول بعد نصف الليل باربع ساعات واخبر حراس استحكامات الروس ان الجنود العثمانية قد خرجت من الاستحكامات والاخاديد لتجتمع وتحمل على صفوف الروسيين والرومان في الجهة الغربية من الفيد. فهذا حذر الروسيين واي تحذير فجمعوا جيوشهم في الجهة المذكورة وقووها وساروا يحلوا في الاستحكامات التي كان قد اخلاها العثمانيون وابقوا فيها جنودًا قليلين ليضرموا النار حسب العادة لئلا يعرف العدو بانطفائها ان الاستحكامات باتت بدون جنود. وجمع عثمان باشا بطل بلافنا جيشهُ في وادي الفيد

وقبل ان لاح الصباح رتب صفوف المشاة وهياها للحمل وجعل المدافع ومركبات المهمات ورآها وهيأ ها لتسير بين صفوف العدو عند ما يفتح جيشهُ طريقًا في وسطها ولو تمكن من ستر هذه الحركة التي نمَّ بها ذلك الجندي الخائن لربما كان فاز عند طلوع الصبح من ان يكبس العدو الغافل ويفتح طريقًا بين صفوفهِ ويسير الى ودن واذا قيل ان ذلك لا يمكن نقول انهُ لو صد بدون ان يعلم العدو بحركتهِ لتمكن من الرجوع الى بلافنا وطلب شروطًا موافقة للتسليم او حاول الخروج مرة ثانية· وعند ما لاح الفجر ورأى طريقهُ حمل حملة تزعزع الجبال على استحكامات الروسيين المتينة التي كانت تحمي الضفة اليسرى من نهر الفيد وكبسهم في المراكز الامامية واخذ جنود الحرس الامبراطوري يصطفون وتاهبوا منتظمين انتظامًا تامًا ليلاقوا العثمانيين قبل ان تمكن عثمان باشا الذي كان يقود الصفوف الامامية من أن يبلغ الصف الثاني من استحكاماتهم . فاشتد القتال هناك وراجت سوق المنايا وتفاقمت الخطوب وحملت رجالة العثمانيين ببسالة كبسالتهم المشهورة غير مبالين بالجراح ولا بالموت بحسب عادتهم بل اكتفوا بما تعودوه من هذا القبيل . حتى ان ثلاث طوابير من الابطال الروسيين كادت تفنى عن اخرها وهي تحاول صد حملة اولئك

الجنود المستميتين . على ان قوة الاستحكامات وثبات المدافعين
عنها العجيب وصعوبات المسالك جعلت الحاملين يرجعون
وبعد قتال شديد تكبد فيهِ الفريقان خسائر وافرة التزم عثمان
باشا ان يقرّ ان لا امل لهُ بالخروج . فحاول الرجوع الى المراكز التي
كان قد خرج منها بكل الجنود فلم يفز بذلك لان لما علم جنود
البرنس شارل امير الفلاخ والبغدان والكراندوق نقولا انهُ ما
من جنود في الاستحكامات امامهم تقدموا وحلوا فيها ولم يكتفوا
بذلك بل استمروا في التقدم الى ان استولوا على مدينة بلافنا
فعندما صد الجيش العثماني في الجهة البعيدة من الفيد حاول
ان يلتجئ الى الاستحكمات التي انشاها بتعب عظيم وعناء شديد
حول بلافنا غير انهُ وجد ان العدو قد حلَّ فيها كلها واخذ
يحمل عليهم اماميًا وجنبيًا وخلفيًا وكانت البنادق الكثيرة والمدافع
تطلق عليهم وهم راجعون رصاصًا وحديدًا وكرات فجرح عثمان
باشا وانقطع املهُ من النجاة ومن الامنية الموقتة ولم يرَ بدًا من
التسليم بدون شروط . وقد سلم بطل بلافنا سيفه متمتعًا باحترام
خصمهِ ومدح العالم قاطبة . وجلالة الامبراطور الذي استولى على
حصنهِ قد فعل ما يبين انهُ يستحق الفوز وذلك في ساعة انتصاره
فانهُ زار عثمان باشا في اليوم التابع للتسليم حال كونهِ دافعهُ

طويلاً ببسالة وشجاعة وحكمة لا مزيد عليها وارجع لهُ السيف الذي كان يتقلدهُ بشرف وامتياز في اثناء مشقات الحصر وصعوباتهِ واهوالهِ وكان عدد الجيش الذي سلم معهُ ٤٣٠٠٠ وكانت مدة مقاومتهِ في بلافنا تزيد عن اربعة اشهر بشجاعة وثبات ادهشا العالم

واما سليمان باشا الذي كان خلف محمد علي باشا على جيش لوم اقام بتجربات دون جدوى لاعادة الدفاع فغلب في تروستيانيك وفي ماتشكا وفي ايلينا واستأنف القتال ثانية في ماتشكا فغلب مجدداً في ١٧ كانون الثاني (جانفيه) وكذلك شاكر باشا الذي خلف سليمان باشا امام شيبكا لم يكن اكبر حظاً منهُ

وفي اسيا بعد ان كان مختار باشا الغازي قد نجح جديداً في كيزيل تبه راى نفسهُ مجبوراً على التقهقر الى حد ارزروم في ١٤ الى ١٦ تشرين اول وعاد الروسيون فحاصروا القارص ومن ثم غلب في ديبي بوين في ٤ تشرين الثاني والتجأ الى ارزروم ولم يقدر ان يمنع عن قلعة القارص هجوم الروسيين فافتتحها الروسيون ودخلوها

واخر نكبة كانت بواسطة تقدم الروسيين المشابه للصاعقة

في مدة الشتاء سنة ١٨٧٧ و ١٨٧٨ فالجنرال توتلبن كان يهتم بانهُ قبل ان يفكر بالاستانة يرتاح من جهة روستجق وشوملا وفيدين لكن الكراندوق نقولا قصد ان يحل هذه العقدة. فامر الباسل الجنرال غوركو ان يمر في البلكان. وهذا الجسور تحت اشتداد برد يبلغ من ١٥ الى ٢٠ درجة قطع البلكان من عنق اتروبول واجتاز مضايق مسدودة بالثلوج المتراكمة ساحباً المدافع الضخمة بالايدي فوق تلك الثلوج والمهاوي المخطرة وقهقر جيش شاكر باشا ودخل صوفيا وهي بلد منذ اربعة اجيال ما نظرت قط جيوشاً غريبة وذلك في ٢ كانون الثاني ومن ايختيمان داوم المسير في وادي مارينسا ووصل الى تتار بازار في ١٢ كانون الثاني وضرب قاضي كوي ودخل الى فيلبي في ١٦ منهُ. وفي ما بعد هذا الوقت دخلت فرق اخرى روسية من مخارق البلكان والقائد كارتزوف اجتاز من تراجان ودخل كارلوفا وباشر الاتصالية مع غوركو. وفي الممرين الكائنين على يمين وشمال عنق شيبكا اجتازت فرقتان من جيش رادتسكي الاولى تحت امرة سكوبيلوف والثانية تحت امرة ميرسكي وعند انضمامهما الى بعضهما من المخارج حاطتا بمؤخرة فرقة وسير باشا بينما كان رادتسكي يهاجمهُ من الامام اي من مضيق شيبكا واسروا منهُ ٢٣٠٠٠ رجل واستولوا

على ٦٦ مدفعاً وذلك في ٩ كانون الثاني (جانفيه)

ومن جرى الهجوم المتواتر من القائد غوركو الذي وصل الى ماريتزو القواد كارتزوف ورادتسكي وسكوبيلوف وميرسكي الذين خرجوا من مضايق البلكان لم يعد سليمان باشا القائد العثماني يعرف كيف يدير راسهُ فقد انفصل عن ادريانابلي والتزم ان يتدرج في الطرق الصعبة ليترك العدو يتاثرهُ . وفي ٢٠ كانون الثاني انضمت كل الفرق الروسية في ادريانابلي وفي ٣٠ منهُ وصلوا الى سيليفري والى رودستو على بحر مرمرا فكانوا بازاء الاستانة العلية ولم يرد الباب العالي ان يعرض لهم سوى ١٢٠٠٠ جندي عسكروا على اعالي تشادالتشا

ولم تكن الدولة العلية تحتمل مهاجمة روسيا فقط بل كل اعدائها الداخليين الذين اشتد ازرهم بانتصار روسيا ففي ١٤ كانون الاول رجعت السرب الى حمل السلاح وفي ١٠ كانون الثاني استولت على نيسخ وهاجمت الجنود العثمانية على ذات المواقع الشهيرة في كوسوفا . ودخل الجبليون الى انتيفاري في ١٠ كانون الثاني (جانفيه) والى ديليثينو في ١٩ منهُ وقطعوا بويانا ليهجموا على اسكيدار . وحاصر الرومانيون فيدين وازمعوا ان يسقطوا في ٢٤ شباط (ففريه) . وفي كريت جرت تجمعات عمومية من

السكان المسيحين وطلبوا الانضمام الى مملكة اليونان . وتحركت كل من ثساليا ومكدونيا والبانيا اليونانية . وفي ٢ شباط ادخلت حكومة اثينا الى ثساليا ١٢ الف جندي واكدت ان مقصدها بذلك ليس للمساعدة على الدولة العلية لكن لتطمئن بان الفوائد المتعلقة بالنسل الميلاني لا تكون عرضة لفوائد الصقالبة

واما انكلترا فقد ارتعدت وتعجبت من نجاح روسيا السريع وفي ٢١ كانون الثاني حتم مجلس الاعيان في لوندرا بالمساعدة التي طلبتها الوزارة ففي ١٤ شباط (ففريه) مخر الدردنيل اسطول انكليزي ورسى تجاه الاستانة عند جزيرة الملوك لكن كان فات الوقت فضلاً عن ان عساكر اربع دوارع لا يمكنها ان تسد الطريق بوجه جيش كامل

ومنذ ٨ كانون الثاني اعلن سرفير باشا وزير الامور الخارجية للمجلس العالي العثماني ان الدولة العلية انفردت وانها لا تتكل قط على معاهدة اوربية وفي ١٩ منهُ وصل ومعهُ معتمد اخر عثماني الى محل الكراندوق نقولا في كزانلك عند كعب البلكان والتزم المعتمدان ان يتبعا الجيش بانتقالهِ المتواصل . الاَّ انهُ في ادريانابلي وقعا على اساسات الشروط . ومن ثم بعد دخول الانكليز بحر مرمرا طلب الكراندوق نقولا تسليم اعالي تشاداالتشا

واقام في سان استيفانو على البوسفور وقد امر اذا كانت الانكليز
تبدي اقل تظاهر على الاستانة ان يدخل اليها هو ذاته فعرف
الانكليز بتلك الاوامر وفضلاً عن ذلك ان الباب العالي
اوضح بجلاء ان حضور مراكب الانكليز لم يكن لمثل هذا السبب
وعليهِ فقد ترك الاسطول الانكليزي جزيرة الملوك ورسى على شط
اسيا وعلى هذا الوجه تخلصت الاستانة من عناد الروسيين
وحرم عساكر الروسية من ارضاء حب الذات الذي كان
يمكن ان يجلب الخراب (لاسمح الله) على تلك المدينة العظيمة
عروس المدن

وفي ٣ اذار (مارت) وقع على معاهدة صلحية تقررت فيها
جملة شروط خارقة وجرت هذه المعاهدة رأساً بين الباب
العالي وروسيا دون مداخلة الدول دعيت بمعاهدة سان
استفانو ومفصل بنودها هو

المادة الاولى . انهُ لقطع اسباب المنازعات الدائمة التي
تقع بين تركيا وجبل الاسود قد صار تغيير تخوم البلدين تغييراً
موافقاً للخارطة المصاحبة لهذه المعاهدة وللشروط الاتية . فخط
التخوم يمتد من جبل دوبروسيتزا تابعاً الخط الذي عينهُ مؤتمر
الاستانة الى ان يبلغ كوريتو مار ا ببلك . ومن ثم يمتد التخم الجديد

الى كاتزكو (ومنوشيا كاتزكو تكون للجبل الاسود) متجهاً الى ملتقى بيفا وتارا وممتداً شمالاً ماراً بدرينا الى ان يلتقي بفيم . وتخم الامارة الشرقي يتبع النهر المذكور اخيراً الى بريجيبولجي ماراً بروستراع الى صوكا بلانينا تاركاً بيهور وروستراغ للجبل الاسود وبعد ان يجعل خط التخم اتصالاً بين روغو وبلافا وكوسنجي يتبع سلسلة الجبال ماراً بشيليب باكلن ثم يتبع حد البانيا الشمالي ماراً بقمم بروكلتي ومن ثم يمتد ماراً بقمة بسكاشك . ويتجه في خط مستقيم الى ان يبلغ بحيرة جيسين هوتي شاطراً جيسين هوتي وجيسين كستراتي . ويجتاز بحيرة اسكوتاريا الى بويانا الى البحر وتبقى نكسك وكاتزكو واسبوتجي وبودغوريتزا وزبليك وانتيفاري للجبل الاسود . اما تخطيط تخوم هذه الامارة نهائياً فيفوض الى لجنة اوربية يكون للباب العالي ولحكومة الجبل اعضاء فيها . فترسم في الخارطة التغييرات التي ربما كانت ترى لزوماً لاحداثها مراعية العدل بالنظر الى الصوالح المختلفة وما يأول الى راحة البلدين وبمنحها بالنظر الى ذلك التعويضات التي تراها لازمة اما سير السفن في بويانا فقد طالما كان علة وقوع نزاع بين الباب العالي والجبل فيكون موضوع نظام مخصوص تقرره تلك اللجنة الاوربية

المادة ٢ . قد اعترف الباب العالي نهائياً باستقلال الجبل الاسود . وسيقرر اتفاق بين الحكومة الروسية والحكومة العثمانية وحكومة الجبل الاسود لتعيين ما يتعلق بكيفية الصلات والمعاملات التي تجرى بين الباب العالي والامارة وخاصة لاجل ارسال وكلاء الجبل الاسود الى الاستانة والى بعض الاماكن من السلطنة العثمانية التي يعترف بلزوم ارسالهم اليها . ولاجل تسليم الهاربين من المذنبين من بلد الى بلد وخضوع الجبليين المسافرين او القاطنين في البلاد العثمانية للشرايع والقوانين والعمال العثمانيين بحسب منطوق القوانين الدولية والعادات المقررة المتعلقة بالجبليين . وسيعقد اتفاق بين الباب العالي والجبل الاسود لترتيب الامور المتعلقة بالصلات الجارية بين سكان تخوم البلدين والانشاءات العسكرية الواقعة فيها . اما ما لا تتفقان عليه فيحال الى روسيا والنمسا والمجر على سبيل التحكيم فتحكم به بالاشتراك . وتلتزم جيوش الجبل الاسود ان تخلي الاراضي التي لم تتضمنها التحديدات المذكورة اعلاه بعد امضاء هذه المعاهدة بعشرة ايام

المادة ٣ . قد اعترف باستقلال السرب . وتخمها المعين في الخارطة المعينة لهذه المعاهدة يتبع الدرينا بحيث يبقى للامارة زورنك

الصغيرة وزاكار . ثم يمتد في خط التخم القديم الى ينابيع نهر ريفو الخ . وتتعين لجنة عثمانية سربية تساعدها دائرة روسية لتعين بالبحث المحلي الحدود النهائية في ثلثة اشهر ويقرر فيها نهائيًا ما يتعلق بجزائر الدرينا . ويكون من اعضاء تلك اللجنة مامور بلغاري يشترك في اشغال اللجنة عندما تخطط التخوم الواقعة بين السرب والبلغار

المادة ٤ . ان المسلمين اصحاب العقارات والاراضي في البلاد التي ضمت الى السرب الذين لا يريدون ان يبقوا فيها يقدرون ان يحافظوا على املاكهم بتوكيل من يديرها او بايجارها وستعين لجنة عثمانية سربية يعاونها مامورون روسيون لتساوي في سنتين كل ما يتعلق بالامور العقارية التي المسلمين فيها صالح وسيفوض الى هذه اللجنة فضلاً عن ذلك تسوية كيفية نقل املاك الدولة والاوقاف والامور المتعلقة بصوالح الافراد الذين ربما كانوا يتعاطون الاشغال هناك عند عقد معاهدة بين الحكومة العثمانية والسربية متعلقة بالاتصالات التي تجري بين الباب العالي والامارة . والرعايا السربيون الذين يسافرون الى البلاد العثمانية او يسكنونها يعاملون بحسب منطوق القوانين الدولية وعلى الجنود السربية ان تخرج من الاراضي غير المتضمنة

الحدود المذكورة اعلاه بعد امضاء معاهدة الصلح بخمسة عشر يومـاً

المادة ٥ . قد اعترف الباب العالي باستقلال رومانيا التي يحق لها ان تقبض غرامة تصير المفاوضة بشانها بين البلدين . وبعد ان تعقد المعاهدة راساً بين تركيا ورومانيا يتمتع رعايا رومانيا بالحقوق المضمونة لرعايا دولة اخرى اوربية

المادة ٦ . قد صارت البلغار امارة ذات استقلال اداري تدفع خراجاً . وتكون لها حكومة مسيحية وعسكرية وطنية اما حدودها النهائية فتعينها لجنة روسية عثمانية مخصوصة قبل ان تخلي الجنود الروسية بلاد الروملي وهذه اللجنة تجعل من اعمالها رسم التغييرات في التخوم على الخارطة العامة . وتقيد ما يبين جنسية اكثرية الاهالي تبييناً مطابقاً لقواعد الصلح وما يبين الاحتياجات المحلية وصوالح الاهالي العمومية بالنظر الى اسباب الانتقال اما اراضي الامارة البلغارية فقد صار تخطيطها عمومـاً في الخارطة المعلقة بهذه المعاهدة ويكون هذا التخطيط قاعدة نهائية لتعيين الحدود . ويبتدي التخم من تخم امارة السرب الجديد ويتبع حد قضا فرانيا الغربي الى سلسلة قراطاغ الخ .

المادة ٧ . ان الاهالي ينتخبون اميرًا للبلغار بحرية ويثبته الباب العالي برضى الدول . ولا ينتخب احد من العيال المالكة الممالك الاوربية العظيمة اميرًا على البلغار . واذا فرغت كرسي الامارة البلغارية ينتخب الامير الجديد كما انتخب الامير الاول . وقبل انتخاب الامير يجمع اعيان البلغار في فيلبي او في فلو فديف او ترنوفا تحت مناظرة معتمد روسي وبحضور معتمد عثماني . ويكتبون نظام الادارة الاستقبالية كما جرى سنة ١٨٣٠ بعد صلح ادرنه . اما في امارات الطونة في الاماكن المختلطة اي التي يسكنها المسلمون والبلغاريون واليونان والفلاخيون والكانتز ولوخيون او غيرهم فتقيد حقوق هولاء الاجناس وصوالحهم في الانتخابات وفي سن القوانين الاساسية . اما اجراء الادارة الجديدة في البلغار والمناظرة على انفاذها فتسلمان سنتين الى مامور روسي . وبعد انفاذ النظام الجديد بسنة يحق للباب العالي ودول اوربا ان ترسل معتمدين يشتركوا مع المامور الروسي اذا تقرر اتفاق بهذا الشان بين تلك الدول ورات لزومًا لذلك

المادة ٨ . ان الجيش العثماني لا يبقى في البلغار ويصير هدم جميع القلع القديمة وتدفع الحكومة المحلية مصاريف هدمها .

ويحق للباب العالي ان يتصرف بالمواد الحربية والاملاك المختصة بالحكومة البلغارية الموجودة في قلع الطونة التي قد تم اخلاؤها بشرط هدنة ١٩ و ٣١ كانون الثاني (جانفيه) وكذلك المواد الموجودة في شوملا وفارنا . اما حفظ الراحة والانتظام في البلغار فيفوض الى جنود روسيا الحالة في البلاد وتسعف اللجن عند ما تمس الحاجة الى الاسعاف ويبقى ذلك الى ان يتم انشاء جنود محليين للمحافظة على الراحة والامنية . وعدد هذا الجيش يصير الاتفاق عليه بين الحكومة العثمانية والحكومة الروسية . اما حلول الجنود الروسية في البلغار فلا تتجاوز السنتين وتكون مؤلفة من ستة جيوش من المشاة وجيشين من الفرسان وتبقى في البلغار بعد ان تخرج الجيوش الروسية من البلاد العثمانية ولا يكون عددها اكثر من خمسين الف رجل . والبلاد التي تكون فيها تقوم بدفع مصاريفها . وسيحافظ الجيش الروسي الحال على اسباب اتصاله بروسيا بطرق رومانيا وثغور البحر الاسود وفارنا وبورغاز حيث يحق له ان يقيم مخازن لمهماته في اثناء حلوله

المادة ٩ . ان الخراج السنوي الذي تدفعه امارة البلغار الى الدولة السائدة عليها بدفعه لبنك يعينه الباب العالي يعين

باتفاق يعقد بين روسيا والحكومة العثمانية وسائر الوزارات في نهاية السنة الاولى من اجراء الادارة الجديدة وستتخذ البلغار على نفسها ما هو مفروض على الحكومــــة العثمانية بالنظر الى شركة طريق روستجق وفارنا الحديديتين بعد ان تعقد مشاورة بين الباب العالي وحكومة الامارة وادارة الشركة وكذلك الامور المتعلقة بسائر الطرق الحديدية الممتدة في الامارة فتتساوى باتفاق يتقرر بين الباب العالي وحكومة البلغار ورؤساء الشركات التي يتعلق ذلك بها

المادة ١٠. انهُ يحق للباب العالي ان ينقل الجنود والمهمات والمونة بطرق معينة في البلغار الى الولايات الواقعة وراءها ذهاباً واياباً . فلازالة الصعوبات واسباب الخلاف قد ضمنت احتياجات الباب العالي من هذا القبيل وسيصير وضع نظام مخصوص يتضمن الشروط الضابطة لهذا الحق بعد المصادقة على هذا العهد بثلاثة أشهر ويتم ذلك بتقرير اتفاق بين الباب العالي والحكومة البلغارية . وقد تقرر ان هذا الحق محصور بالجنود العثمانية المنظمة ولا يتناول الجنود الغير منظمة كالباشبزق والشركس. ويحفظ الباب العالي لنفسهِ حق ارسال بُرده في الامارة وان يقيم اتصالات برقية . ويتم ذلك في النوع

المقرر ادناه وفي المادة الاتي ذكرها

المادة ١١ . ان اصحاب الاملاك الذين يعولون على الاستيطان خارج الامارة من المسلمين وغيرهم يقدرون ان يبقوا متملكين بتفويض ادارة املاكهم الى غيرهم او بايجارها . وستعقد لجنة عثمانية بلغارية في اهم المدن تحت مناظرة مامور روسي لتحكم نهائيًا في سنتين بكل الامور المتعلقة بالعقارات والاراضي وبصوالح المسلمين حيث توجد . وستعقد لجن كهذه لتساوي في السنتين المذكورتين جميع الامور المتعلقة بنقل املاك الحكومة والاوقاف لنفع الباب العالي . ففي نهايتهما يصير بيع الاملاك التي لم يدّعِ احد بها بالمزايدة وتصرف اثمانها في مساعدة الارامل والايتام الذين اصيبوا بالحوادث الاخيرة من المسلمين والنصارى

المادة ١٢ سيصير هدم كل قلع الطونة . ولا يكون في الاستقبال حصون في شواطيه ولا سفن حربية في مياه حكومات رومانيا والسرب والبلغار خلا السفن الصغيرة التي تقوم بالحراسة وسفن الضابطة والرسومات . اما حقوق لجنة الطونة الاسفل الدولية ومفروضاتها ومتعلقاتها فتبقى على ما كانت عليه

المادة ١٣ قد تعهد الباب العالي باصلاح ممر صولينا بحيث

تصبح السفن قادرة على ان تسير فيه وان يدفع تعويضاً للاشخاص الذين تكبدوا الخسائر بالحرب وتوقيف مسير السفن في الطونه وينبغي ان يعين لذلك خمسمائة الف فرنك مما هو مستحق له من لجنة الطونه

المادة ١٤ . تجري حالاً في بوسنه وهرسك الاصلاحات الاوربية التي بلغت الى المرخصين العثمانيين في جلسة مؤتمر الاستانة الاولى مع التغييرات التي يتفق عليها الباب العالي والحكومة الروسية والنمسا والمجر ولا يطلب الى اهاليها ان يدفعوا البقايا ومداخيلها الى اول اذار (مارت) سنة ١٨٨٠ ميلادية تخصص كل التخصص للتعويض على عيال المهاجرين والاهالي الذين تكبدوا الخسائر في الحوادث الاخيرة بدون امتياز في الجنس والدين ولسد احتياجات الولايتين المحلية. اما المبلغ الذي يجمع سنوياً منهما ليدفع للحكومة المركزية (في الاستانة) فيعين فيما ياتي باتفاق بين تركيا وروسيا والنمسا والمجر

المادة ١٥ . قد تعهد الباب العالي بان يجري في جزيرة اكريت نظام سنة ١٨٦٨ اجابت لطلب الاهالي وستجرى ايضاً اصلاحات مشابهة لها في ابيروس وتساليا وباقي اقسام تركيا في اوربا وهي التي لم يتقرر لها انشاء نظام مخصوص في هذه

المعاهدة وستشكل لجن مخصوصة يكون كثير من اعضائها من الاهالي ويسلم اليها في كل ولاية وضع تفاصيل النظام الجديد وسترسل نتيجة اعمالها الى الباب العالي الذي يشاور فيها حكومة روسيا الامبراطورية

المادة ١٦ . قد تعهد الباب العالي ان ينفذ بدون بطء الاصلاحات التي تدعو اليها الاحتياجات المحلية في المقاطعات التي يقطنها الارمن وان تضمن عدم تعدي الاكراد والشركس عليهم

المادة ١٧ . قد عفا الباب العالي عفواً تاماً عن جميع الرعايا العثمانيين الذين كان لهم دخل في الحوادث الاخيرة. وسيطلق سبيل جميع المسجونين والمنفيين من جرى ذلك بدون تاخير البتة

المادة ١٨ . سيهتم الباب العالي كل الاهتمام بالراي الذي ابرزهُ مامورو الدول المتوسطة بشان تملك مدينة خوتور وتعهد بان ينفذ حالاً عمل تخطيط التخوم العثمانية الايرانية

المادة ١٩ . هذه هي الغرامة التي يدعيها جلاله امبراطور روسيا مقابلة للحروب وتعويضاً للخسائر التي تكبدتها وقد تعهد الباب العالي ان يدفعها الى روسيا . اولاً . تسعمائة مليون ريال

روسي مقابلة المصاريف الحربية ومصاريف الجيش وتعويض المواد واشياء اخرى . ثانيًا اربعمائة مليون ريال روسي لتعويض الاضرار اللاحقة بساحل روسيا الجنوبي وبتجارة صادراتها وبطرقها الحديدة . ثالثًا . مائة مليون ريال روسي لتعويض الاضرار التي نشأت عن فتح القوقاسوس . رابعًا . عشرة ملايين ريال روسي لتعويض الاضرار اللاحقة بصوالح رعايا روسيا وانشاءاتهم في البلاد العثمانية . فالمجموع الف واربعمائة وعشرة ملايين ريال روسي . فنظرًا الى ارتباكات البلاد العثمانية المالية وانفاذًا لارادة عظمة السلطان قبل امبراطور روسيا بان يبدل دفع اكثر المبالغ المذكورة بالاراضي الاتية . وهي . اولاً . لواء تولتجه اي قضاء كيليا وصولينا ومحمودية واسكطاش وتولتجه وماتشين وباباطاغ وهرزوفا وكوستنجي ومجيدية مع جزائر الدلته وجزائر اداسي (عند مصب الطونه) . ولما كانت روسيا لا تروم ان تضم الى بلادها هذه الاراضي وجزائر الدلته قد حفظت لنفسها حق بدلها بالقسم الذي فصل عنها بمعاهدة سنة ١٨٥٦ من بسارابيا وهي التي يحدها جنوبًا فرع تالوغ كيليا ومصب استاري استامبول اما تعيين المياه واماكن صيد السمك فيكون بمعرفة لجنة روسية رومانية تقوم باعمالها من هذا القبيل في سنة تابعة للمصادقة على

هذه المعاهدة. ثانياً. اردهان وقارص وباطوم وبايازيد والاراضي حتى نهر صوغانلي. وتكون الحدود العمومية ممتدة من ساحل البحر الاسود تابعة سلسلة الجبال الفاصلة مجاري نهر هوبا عن مجاري نهر جوروك وسلسلة الجبال الواقعة في الجهة الجنوبية من مدينة ارتوين الى نهر جوروك بالقرب من قرية الاث وبيشاجت . ومن ثم تمر التخوم بقمم جبال درونكجكي وهورتشزور وبدجيكوي طاغ ممتدة في السلسلة الفاصلة بين مجاري تورتومشاي وجوروك ومارة بالتلال القريبة من يالي فيهين نازلة عند قرية فيهين كيليسيا الى نهر تورتومشاي . ومن ثم تمتد في سلسلة سفرى طاغ الى الوادي المسمى باسمها ماراً بالجهة الجنوبية من قرية نوريمان. ثم تمتد جنوباً الى زوين ومن ثم تمر في غربي الطريق الواقعة بين زوين وقرية اردوست وخورسان وتتجه جنوباً محاذية لسلسلة صوغانلي الى قرية جيلتشمان . ثم لسلسلة شاريان طاغ الى ان تبلغ مكاناً يبلغ عشر فرسات (الفرست قياس روسي وهو نحو ثلثي ميل انكليزي) عن هامور في الجهة الجنوبية وذلك في وادي مرادتشاي . ومن ثم تمر بسلسلة الله طاغ وقمتي هوري وتاندروت وبجنوبي وادي بايزيد تمتد الى ان تصل بالتخم العثماني الايراني القديم في جنوبي بحيرة كازلي . اما ضبط

تخوم الاراضي المنضمة الى روسيا المعينة في الخارطة المتصلة بهذه المعاهدة فتقوم بهِ لجنة اعضاؤها روسيون وعثمانيون . وهذه اللجنة تراعي في اعمالها خصائص المحلات واوصافها وما ياول الى اصابة الادارة وغير ذلك مما يصون راحة المقاطعة . ثالثًا . ان الاراضي المذكورة في القسم الاول والثاني قد اعطيت لروسيا مقابلة لمليار ومائة الف ريال روسي واما بقية الغرامة وهي ثلثمائة مليون ريال روسي (فضلاً عن العشرة ملايين التي خصصت لتعويض الخسائر اللاحقة بالصوالح والانشاءات الروسيه في البلاد العثمانية) فتعين كيفية دفعها وضمانتها باتفاق يقرر بين حكومه روسيا الامبراطورية وحكومة الحضرة السلطانية . رابعًا . ان العشرة ملايين المخصصة لتعويض الخسائر الواقعة على رعايا روسيا وانشاءاتها في البلاد العثمانية تدفع عندما تصادق سفارة روسيا في الاستانة على دعاوى اصحاب المصالح وتسلمها الى الباب العالي

المادة ٢٠ ان الباب العالي يتخذ وسائل فعالة لينهي حبيًا دعاوى رعايا روسيا المتعلقة منذ سنين ويدفع لهم تضمينات اذا مست الحاجة الى ذلك ويجري بدون تاخير جميع الاحكام الصادرة

المادة ٢١ . ان الذين يرومون ان يسكنوا غير الاماكن التي ضمت الى روسيا من اهاليها فيسمح لهم أن يبيعوا اراضيهم ومقتنياتهم ويخرجوا . وقد عينت مدة ٣ سنوات ليقوموا بذلك من تاريخ المصادقة على هذه المعاهدة . وبعد نهاية هذه المدة يصير الذين لم يبيعوا املاكهم ويخرجوا من منازلهم رعايا روسيا . اما العقارات والاراضي المختصة بالحكومة وما هو منها وقف الواقعة عند الاماكن المذكورة فتباع بعد ٢ سنوات بحسب قرار لجنة عثمانية روسية . وهذه اللجنة تعين كيفية نقل الحكومة العثمانية المواد الحربية والمهمات والزاد وغير ذلك من الاشياء المختصة بها الموجودة في القلع والمدن واماكن اخرى معطاة لروسيا لم تحل فيها جنودها

المادة ٢٢ . ان خدمة الدين والزوار والرهبان الروسيين المسافرين في البلاد العثمانية او المقيمين فيها تكون لهم حقوق خدمة دين اجناس اخرى مستوطنين فيها وامتيازاتهم ومنحهم . ومن حقوق السفارة والقونسلاتات الروسية في البلاد العثمانية ان تحمي المذكورين اعلاه شخصياً وان تحمي ايضاً املاكهم ومحلاتهم وانشاءاتهم . اما الكهنة وغيرهم في الاماكن المقدسة الذين هم من جنس روسي ولا سيما رهبان جبل اثوس فتبقى لهم جميع

امتيازاتهم ويتمتعون كما في الماضي في الاديرة الثلاثة المختصة بهم والبيوت المتعلقة بها بالحقوق والامتيازات التي يتمتع بها سائر المراكز الدينية والاديرة في ذلك الجبل

المادة ٣٢ . ان جميع المعاهدات والاتفاقات المعقودة بين الفريقين العاليين المتعاهدين بشان التجارة والشرائع والقوانين وحالة رعايا روسيا في البلاد العثمانيـة سترجع الى النفوذ بعد ان كانت قد ابطلت بالحرب . وتكون نسبة كل من الحكومتين الى الحكومة الاخرى على ما كانت عليه قبل الحرب من جهة معاهداتهما وصلاتهما التجارية وغيرها . ما لم تكن قد تغيرت بالشروط المقررة في هذه المعاهدة

المادة ٢٤ . ان بوغاز البوسفور وبوغاز الدردنيل يبقيان مفتوحين في زمان السلم كما في زمان الحرب لمرور المراكب التجارية المختصة بالامم المتحايدة الصادرة من الثغور الروسية والواردة عليها . ولذلك قد تعهد الباب العالي بان لا يقيم ابداً امام ثغور البحر الاسود وبحر ازوف حصراً وهمياً يكون مضاداً لروح القرار الذي امضي في باريس في ٤ و١٦ نيسان (افريل) سنة ١٨٥٦

المادة ٢٥ . ان خروج الجيش الروسي من البلاد العثمانية

في اوربا خلا البلغار يتم في ثلاثة اشهر بعد عقد الصلح النهائي بين جلالة امبراطور روسيا وعظمة السلطان . ولتوفير الزمان ومجانبة مصاريف ابقاء الجنود الروسية طويلاً في تركيا ورومانيا يمكن ارسال بعض الجيش الروسي الى ثغور البحر الاسود وبحر مرمرا ليركب منها مراكب الحكومة الروسية او سفناً مستأجرة لنقلهِ . اما اخلاء تركيا في اسيا فيتم في ستة اشهر ابتداؤها عقد الصلح نهائياً ويحق للجنود الروسية ان يركبوا البحر في ترابزون ليعودوا في طريق القوقاس او القرم . اما الاستعدادات اللازمة لسفر الجنود فيصير الابتداء بها عند المصادقة على هذه المعاهدة

المادة ٢٦ . ما دامت الجيوش الروسية في تلك الاماكن التي يصير ردها على الباب العالي بحسب منطوق هذه المعاهدة تجرى الامور والادارة على ما كانت عليهِ منذ حلت فيها . والباب العالي لا يشترك في ذلك في اثناء تلك المدة والجيوش العثمانية لا تدخل الاماكن التي سترد على الحكومة السلطانية الا بعد ان يتم خروج جميع الجنود الروسية منها . وهذه الحكومة لا تشرع في انفاذ سطوتها فيها الا بعد ان يعلم قائد الجيوش الروسية المامور العثماني المعين لذلك باتمام اخلاء كل قلعة وولاية على

حدتها

المادة ٢٧٠ ان الباب العالي قد تعهد بان لا يقاص الرعايا العثمانيين الذين قد عرضوا انفسهم للخطر بالعلاقات التي جرت بينهم وبين الجيش الروسي في اثناء الحرب وبان لا يسمح لاحد بان يقاصهم . والمامورون العثمانيون لا يمنعون عن الخروج من يشاء ان يخرج من البلاد العثمانية مع عيالهِ في اثر الروسيين

المادة ٢٨ . بعد المصادقة على قواعد الصلح يسلم كلٌ من الدولتين الاسرى تحت مناظرة مامورين يعينون لذلك وسيذهبون الى اودسا وسبستابول للقيام بماموريتهم وينبغي ان يقام بذلك حالاً . اما الحكومة العثمانية فتدفع جميع مصاريف الاسرى في ١٨ قسطاً متساوياً في ٦ سنوات بحسب الحسابات التي يقررها المامورون المخصوصون. اما رد الاسرى بين الحكومة العثمانية وحكومة رومانيا والسرب والجبل الاسود فيتم بحسب هذه القواعد وعلى كل حال يطرح من اسرى العثمانيين عدد الاسرى الروسيين

المادة ٢٩٠ ان هذه المعاهدة يصادق عليها جلالة امبراطور روسيا وعظمة السلطان العثماني ويصير تسليم الصورتين المصادق عليهما في ١٥ يوماً او اقل اذا امكن . وذلك في بطرسبرج

حيث يصير الاتفاق على الزمان والمكان اللذين يعينان لاعادة قراءة هذه المعاهدة بالاحتفال الاعتيادي الذي يرافق ابرام المعاهدات الصلحية

وقد امضى المرخصون هذه المعاهدة وختموها باختامهم

كتب في سان استيفانو في ١٩ شباط (ففريه) و٣ اذار (مارت) سنة ١٨٧٨

ففي هذه المعاهدة لم تكتسب روسيا الاَّ بسارابيا والاقاليم الارمنية غير انها قامت بفصل تركيا اوربا تماماً وتقطيعها الى قطيعات كل واحدة لوحدها . لان سلانيك والاستانة العلية لم يوصل اليهما الاَّ بالبحر واقتربت حدود السرب والجبل الاسود من بعضهما ولم يترك للدولة العلية بينهما سوى بقعة صغيرة من الارض بحيث ان بوسنه وهرسك انفصلتا عن البلاد العثمانية وسلمتا للسلطة السلافية والذي بقي للدولة العلية هو الاقاليم اليونانية ويانينا التي كانت دائماً في فتن واحداث . ومما تقدم ظهران الاحلام الطمعية التي كان يحلم بها كل من بطرس الاكبر وكاترينا الثانية ونقولا الاول تحققت في زمن اسكندر الثاني وهي اخراج الصقالبة عن طاعة الباب العالي

تداخل اوربا ومعاهدة برلين

ولم يكن يخفى على روسيا ان هكذا تغيير عجيب في حالة اوربا السياسية ينتهي بدون موافقة الدول ومصادقة اوربا وعليه فقد دعت معاهدة سان استيفانو (معاهدة ابتدائية) وعلى الاخص النمسا وانكلترا فانهُ لم يكن يرضيهما هذا التغيير مطلقاً لان النمسا لها فوائد مهمة بهذا المقدار على الدانوب وعلى الادرياتيك . وانكلترا كانت قد طرحت لدى الباب العالي خلوصها ولكن هذه عرفت كيف احالت اصلاح سياستها . وحصل الكونت اندراسي وزير النمسا الاول من المجالس على دين اولي مقدارهُ ستون مليون فلوريني ليقاوم كل حدث يحدث ولم يعد في انكلترا الاَّ التكلم عن الاستعدادات الحربية وتسليم المحافظة وطلب العساكر الانكليزية الهندية الخ . وتعاقدتا النمسا وانكلترا على عضد المملكة العثمانية . وكان الوكلاء السياسيون من الانكليز في الاستانة يشجعون الباب العالي لاستئناف الحرب والرجوع اليها وكان على مؤخرات روسيا تهيج ثورات مسلمي الرودوب . واما الرسيون فكانوا يغطون بمدافعهم الكبيرة شط بحر مرمرا والبوسفور لسحق العمارة الانكليزية اذا جربت نزع الشط منهم . وحكت الجرائد الروسية وعرضت على حكومتها

تسليح مراكب قرصانية لهدم المتجر الانكليزي وكانت تبحث ايضاً عن امكان ارجاع مآل المعاهدات الساقطة سابقاً التي عقدت بين بونابرت وبولص الاول ضد الانكليز

فمن جرى ذلك عم الاضطراب وكثرت القلاقل السياسية فالتزم هوبرت باشا ان يحافظ على تظاهره بالدوارع العثمانية لاجبار اليونان على ترجيع جيوشهم من تساليا . وجرى الدم بالاقاليم اليونانية الثائرة . وفي ٢٧ اذار (مارت) ٢٠٠٠ يوناني حاربوا في بليون بعض الجيوش العثمانية تعضدهم نار المدرعات الراسية في خليج غولو وفي بوسنه عادت الثورة الى التقوية واشتدت . واخيراً ظهر الشقاق والاختلاف بين الروسيين والرومانيين وهولاء رفضوا ابدال بسارابيا الموقع الشهير والمركز المهم الملاصق لامارتهم بالاراضي الموحلة (الدوبروشا) الماهولة من التتار وتذمروا محتجين ان مساعدتهم النافعة للجيش الروسي في الحرب وخدماتهم الساطعة في بلافنا تكافئت بتهشيم وطنهم وعليه فقد وضع لهم كورتشاكوف موضوعاً (هكذا غاية الامبراطور التي لا تقاوم) وتهددهم بنزع السلاح واشغال رومانيا بقوة عسكرية روسية فاجاب البرنس شارل . يلزم في الاول نزعي انا . وتجمع الجيش الروماني واقترب من كارابات حيث يمكنه

ان يجد ملجأ ويكون عند اللزوم جناحاً للجيش النمساوي

وكان البرنس بسمارك وزير المانيا الاول يرغب في ارضاء روسيا قليلاً وكان لا يرغب في حرب شرقية ثانية ولا سيما انهُ كان يعتبر ان الفوائد التي تنالها النمسا على الدانوب هي نفس الفوائد التي تريدها المانيا وتعتبرها صوالح المانية لان النمسا بتلك الاقاليم كانت عبارة عن طليعة جيش جرمانيا والة تقدم الالمان في مقاصدها . وانكلترا كانت تعلن انها تريد ان تجعل اساساً للمخابرات ولعهدة جديدة معاهدة باريس المعقودة سنة ١٨٥٦ فاغضب ذلك روسيا وتعجب كيف ان انكلترا تجسر ان تلفظ بتلك المعاهدة بعد ان محتها بانتصارها وقطعت الدانوب والبلكان واسرت نحو ١٥٠ الف جندي وقامت باكثر من عشرين معركة وضحت مقداراً غير قليل من رجال واموال في مقاتلة دولــــة عظيمة ووقفت جيوشها بفوز عند ابواب الاستانة

فاجتهد الكونت شوفالوف سفير روسيا في لوندرا بتلطيف المطالب الانكليزية وسافر الى بطرسبرج وتوصل لدى جلالة القيصر بان يحمله على ترك قسم من مطالبه واتفق حين مروره من برلين مع المجلس الالماني ووضع اساسات اتفاق سري وقع

عليه في لوندرا في ٣٠ ايار (مايس) سنة ١٨٧٨ من الكونت سالسبوري وكان من نتيجة الاتفاق ان تقسم البلغار الى قسمين وتلتزم روسيا اذا اخذت باطوم ان ترفع منها القلع وان ترد بيازيد حيث كان لابد منها لسبب العلائق التجرية بين الدولة العلية وايران وان يصير بعض تسهيلات بين الباب العالي وايران فتسلَّم الاولى مقاطعة كوتور الصغيرة . فهذه النقطة الاولية التي جعلت اساساً للمخابرات . واما التفاصيل وما يتعلق بباقي المعاهدة تصير المفاوضة به في مؤتمر يجتمع في برلين

فحصلت الحكومة الانكليزية في ذات الوقت على نجاح اخر كانت تخفيهِ باعتناء عن عيون اوربا وفي معاهدة ٤ حزيران (جون) السرية عقدت مع عظمة السلطان معاهدة دفاع وهجوم بينما كانت روسيا تجرب لان تمتد بعد في اسيا الصغرى ولكي يفي الباب العالي بتعهداتهِ الاصلاحية لانكلترا سمح لها بان تحل في جزيرة قبرص موقتاً مدعية ان تحمي بذلك الصوالح المشتركة ولما كانت قد تسلحت بهذين الاتفاقين السريين في ٣٠ ايار (مايس) مع روسيا وفي ٤ حزيران (جوليه) مع الباب العالي قدرت ان تقاوم بكل نجاح في المؤتمر

فالتئم المؤتمر الدولي في برلين تحت رئاسة المستشار الالماني

وقد اجتمع اليه ارباب المصالح والذين يرومون اصلاح شؤونهم من اليونان وغيرهم وكانت اعضاء المؤتمر تولف من اعظم رجال الملوك العظام الآتي ذكرهم . جلالة امبراطور المانيا . عظمة السلطان العثماني . جلالة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاريا الرسولي . حضرة رئيس الجمهورية الفرنسوية . جلالة ملكة المملكة البريطانية العظمى وايرلاندة وامبراطورة الهند . جلالة ملك ايطاليا. جلالة امبراطور روسيا كلها . واسماء الاعضاء كما ياتي

عين جلالة امبراطور المانيا السيد اتون برنس دي بسمارك رئيس مجلس وزراء بروسيا ومستشار المملكة . والسيد برنارد ارنست دي بيلو وزير المملكة وكاتم سر الخارجية والسيد شلودويك شارل وكتور برنس دي هوهانلو وكورفي سفيره المطلق لدى الجمهورية الفرنسوية

وعين امبراطور اوستريا . الكونت اندراسي مستشاره الخاص والعام و وزير بلاطهِ وناظر الاعمال الخارجية وفلد ماريشال في عسكره . والسيد لويس كونت كارولي حاجبهُ ومستشارهُ الخاص حالاً وسفيرهُ المطلق لدى امبراطور المانيا والسيد هنري بارون مستشارهُ وسفيرهُ المطلق لدى ملك

ايطاليا

وعين رئيس الجمهورية الفرنسوية . السيد وليم هنري وادنكتون احد اعضاء السنات والدستور ووزير الاعمال الخارجية . والكونت سان فاليه احد اعضاء السنات وسفيرهُ المطلق لدى امبراطور المانيا . والسيد فيلكس هيبولت دسبرس مستشار المملكة ووزير اول مطلق ومدير الاعمال السياسية في الوزارة الخارجية

وعينت ملكة بريطانيا . السيد بنيامين دزرائيلي كونت دي بيكونسفيلد احد شرفاء البرلمان وعضو من المجلس الخاص لجلالتها واول لورد للخزينة اي وزير انكلترا الاول . والسيد روبرت ارثير تالبوت كاسكوين سيسيل ماركيز وكونت دي سلسبري احد شرفاء البرلمان وفي كونت كرانبورن وبارون سيسيل وعضو من المجلس الخاص لجلالتها ووزير الخارجية . واللورد داود وليم ليبولد روسل من اعضاء المجلس الخاص وسفيرها المطلق لدى امبراطور المانيا

وعين جلالة ملك ايطاليا . السيد لويس كونت كورتي احد اعضاء السنات ووزير الخارجية والسيد ادوار الكونت دي لوني سفيرهُ المطلق لدى امبراطور المانا

وعين عظمة السلطان العثماني . السيد اسكندر قره ثيودوري باشا وزير النافعة والسيد محمد علي باشا مشير عساكره . والسيد سعد الله بك سفيره المطلق لدى امبراطور المانيا

وعين جلالة امبراطور روسيا . السيد اسكندر برنس غورتشاكوف مستشار المملكة . والسيد بطرس كونت شوفالوف نقيب الخيالة وسفيره المطلق لدى حكومة انكلترا والسيد بولص دي اوبربل مستشار خاص حالاً وسفيره المطلق لدى امبراطور المانيا

فهولاء هم اعضاء المؤتمر الذي تعين في برلين و بعد ان فوّض الى كل منهم السلطة التامة ووجدت بالحالة المناسبة وقع الاتفاق بينهم وقرروا بالاجماع العهدة المعروفة بعهدة برلين تحت البنود الاتية

١ . تكون بلغاريا امارة ادارية خراجية تابعة عظمة السلطان ويكون لها حاكم مسيحي وضابطة وطنية

٢ . تكون هذه الامارة مشتملة على الاراضي الاتية . التخوم الشمالية في شاطي الدانوب الايمن وذلك من تخوم سربيا القديمة الى المحل الذي يترك تحديده للجنة اوربية في شرق سلستريا ومنها

الى البحر الاسود فجنوبي منغاليا المتصلة باراضي رومانيا · وحدها
الشرقي البحر الاسود والجنوبي يمتد من مصب تلوك عند قرى
هودزاكوي وسلام كوي وايوادسيك وكيليب وسيدزولوك
ثم يقطع بانحراف وادي دلي كمسيك ماراً على جنوبي بليبه
وكيمالك وعلى شمالي حجي محله · وبعد ان يجتاز دلي كمسيك
على مسافة ٢٤ كيلومتراً الى ما فوق جانجي يتناول القمة بين
تيكينايك وايدوس بويدزه ممتداً الى كارنباد بلقان وبرزفيكا
بلقان وقزان بلقان شمالي كوتل حتى باب الحديد . ثم يمر على
سلسلة البلقان العظيمة ممتداً الى قمة كوزيكا ومنها يهبط الى
الجنوب بين قريتي بيرتوب وديزانسي اللتين تترك ثانيتهما
للروملي الشرقية وتبقى الاولى لبلغاريا · ويمتد الى قناة كوزاوديري
ويستتبعها حتى تنضم الى توبولينكا فملتقاها باسموفيكو عند قرية
بتريسيفو تاركاً للروملي الشرقية ارضاً على شعاع كيلومترين
وفوق هذا الملتقى يصعد بين حوضي اسموفيسكوديري وكامينيكا
متبعاً خط انقسام الماء راجعاً الى الجنوب الغربي حتى مرتفعات
فونجاك ومنها خطة ٨٧٥ من خارطة اركان المعسكر النمسوي
والخط الحاد يقطع مستقيماً مجرى النهر الاعلى بايتمان دري
ماراً بين بوكدينا وكارولا وهكذا يلتقي خط انقسام المياه الفاصل

مجرى ايسكر وماريكا بين كامرلي حجي وسرو ويتبع هذا الخط على قسم فيلنا موكلا وعنق ازماليكا وسيمنا تيكا منضماً الى الحد الاداري المختص بسنجق صوفيا بين سفري تاس وغادر تيب ومنها الى التخوم الممتدة من الجنوب الغربي على خط انفصال الماء بين حوضي ميستاقره صو واسترو ماقره صو على منحنى جبال رودوب المسماة دميرفبو وايسكو بيب وقاضي جزار بلقان وحجي جاديك الى كبتنيك بلقان حيث ينتهي في التخوم بخط انقسام الماء بين وادي ديلكاريكا وبستريكا تاركاً لتركيا قرية باركلي ومنها يصعد الى جنوبي قرية جيليسنيكا ليتصل بواسطة الخط الاقرب في سلسلة كوليما بلانينا عند قمة جيتكا وهناك يتصل بتخوم سنجق صوفيا القديمة تاركاً لتركيا مجرى صورهاريكا

واما الحد الغربي من اكمة جيتكا فيمتد نحو اكمة كرني بجبال كارفينا جابوكا ويتبع حد سنجق صوفيا القديم في القسم الاعلى لمجرى اجريسي ولينيكا صاعداً منها الى قم يابينا بولانـــا متصلاً بجبل كرني حيث يتبع التخوم خط انقسام الماء بين استروفا والمورفا بقم استريس وفيلوكولو ومزيد بلانينا وتتصل بكاسينا كرنترافا ودركوفسكا ودرينكا بلان ثم ديسكاني كلادانيك وبخط انقسام الماء من اعلى سكيوفا والمورافا ممتدة راساً الى

ستول ومنها تنحدر فاصلة على مسافة الف متر من الشمال الغربي سكة صوفيا الى بروت ثم تصعد في خط مستقيم على فيدليك بلاتينا ومن هناك على جبل رادوسينا في سلسلة فودزه بلقان تاركة لسربيا قرية دواكنسي ولبلغاريا قرية سيناكوس . واما من اكمة رادوسينا فالحد يسير نحو الغرب الى قمة البلقان ويجري الى سيبر وفيك بلقان وستارا بلانينا الى التخوم القديمة الشرقية من امارة سربيا بقرب كيلا سيمجوفاجيكا ومن هناك الى التخوم القديمة حتى الداوب اذ تنضم اليه في راغوفيتزه

وتثبت هذا التحديد في نفس الحال المذكورة لجنة اوربية تشترك فيها جميع الدول الموقعة وقد اتفق على ما ياتي . اولاً . تبحث هذه اللجنة في ما هو ضروري للحضرة السلطانية بالنظر الى المدافعة عن تخوم البلقان من جهة الروملي الشرقية . ثانياً . لايجوز بناء استحكامات على مسافة ١٠ كيلومترات من حوالي سماكوف

٢ . ينتخب الشعب امير بلغاريا ويثبته الباب العالي بموافقة الدول ولكن لا يسوغ ان يكون من اعضاء عائلات الدول العظيمة المالكة ومتى فرغت الكرسي يجدد الانتخاب بموجب هذه الشروط

٤ . تلتئم في ترنوفا قبل انتخاب الامير جمعية مؤلفة من اعيان البلغار لتهتم بتنظيم قانون للامارة وتراعى في الاقاليم حيث يختلط مع البلغار مسلمون ويونان ورومان وغيرهم حقوق ومصالح هذه الشعوب فيما يتعلق بالانتخابات وبتنظيم القانون المذكور

٥ . ويلقى على المبادي الاتية اساس حق بلغاريا العام فالاختلافات بين المذاهب الدينية والاعتقادية لا ينبغي ان تعتبر علة تمنع احد الاشخاص من التمتع بحقوقه المدنية والسياسية او من تقلده الوظائف العمومية او الامتيازات او ممارسة احدى المهن والصنائع في اية جهة من الامارة . وحرية الاديان كلها وممارستها ظاهراً مكفولتان للرعايا التابعين بلغاريا وللاجنبيين ايضاً . ولا تجوز المعارضة لخدمة الدين ولا لرعاياهم بالنسبة الى علاقاتهم مع روسائهم الروحيين

٦ . يسوس حكومة بلغاريا من الان الى ان يتم نظامها القانوني معتمد روسي معان من معتمد عثماني بالاتحاد مع القناصل التي تنتدب من الدول الموقعة على هذه العهدة لملاحظة اجراء هذه الحكومه الوقتية . ومتى وقع خلاف بين القناصل المنتخبين فالحكم للراي الراجح واذا وقع خلف بين هذا الراي وبين المعتمد

الروسي او المعتمد العثماني وجب على سفراء الدول الموقعة الذين بالاستانة ان يعقدوا جمعية لانهاء الخلاف

٧. ان مدة الحكومة الموقتة لا ينبغي ان تتعدى ٩ اشهر ابتداؤها من تاريخ حصول تبادل التصديق على هذه العهدة. ومتى نجز القانون الاداري يشرع حالاً في انتخاب امير للبلغار وحين يتولى الامر يصير القانون نافذ الاجراء وتنال الامارة شبه استقلالها

٨. عهدة التجارة والملاحة وجميع المواثيق المنعقدة بين الدول والباب العالي والمرعية الاجراء الان تحفظ احكامها بامارة بلغاريا ولا يجوز ان يدخل ادنى خلل في عهدة دولة ما قبل ان تجرى المخابرة معها في ذلك. ولا يسوغ ان يوخذ رسم مرور على البضائع التي تمر بالامارة وتكون معاملة الرعايا ومتجر جميع الدول على نسق واحد واما امتيازات الرعايا الاجنبيين والحقوق القضائية القنصلية وحمايتها على نحو العهود المقررة والعوائد السالفة فتستمر مرعية الاجراء طالما لا تتغير باتفاق ذوي المصالح

٩. ان خراج الامارة السنوي اللازم دفعه للباب العالي بواسطة احد البنوك الذي يعينه لذلك ستقرر كميته باتفاق

الدول الموقعة عند انقضاء اول سنة من تشكيل الحكومة الجديدة ويكون تعديل هذا الخرج على ايراد ارض الامارة . وبما انها ستتحمل جانباً من ديون السلطنة فمتى قررت الدول قيمة الجزية يجب ان تتبصر عادلة في ذاك الجانب من الدين الذي تخصصها به

١٠ . تنوب حكومة بلغاريا عن حكومة الباب العالي في جميع تعهداتها مع شركة سكة الحديد في روستجق وفارنا وذلك بعد مبادلة التصديق على هذه العهدة وينظر الباب العالي وحكومة الامارة ومصلحة السكة في تسوية الحسابات السالفة وتنوب امارة بلغاريا عن الباب العالي فيما يخصها مع ما ارتبط به مع النمسا وشركة سكة الروملي بخصوص مد الخطوط واتصالها . واما ادارة الخطوط الواقعة في ارض الامارة والاتفاق اللازم لحل هذه المسائل بين النمسا والباب العالي وسربيا وامارة بلغاريا فترتبط بعد استتباب الصلح حالاً

١١ . لا يبقى الجيش العثماني في بلغاريا والامارة تلتزم ان تهدم على نفقتها جميع القلاع القديمة في مدة سنة فاقل ويجب على حكومتها ان تتخذ احتياطات ذلك حالاً على انه لا يسمح لها ان تبني خلافها وللباب العالي ان يستولي على مهمات الحرب

المتخلفة في قلاع الطونه التي اخليت بناء على هدنة ٣١ جانيو وعلى المهمات الموجودة في مستحكمات شوملا وفارنا

١٢ . ان اصحاب الاملاك من المسلمين وغيرهم الذين يستوطنون في خارج الامارة يسوغ لهم ان يحفظوا املاكهم فيها اما بواسطة تاجيرها واما بتسليم ادارتها لاخرين . وتقام لجنة تركية بلغارية مدة عامين لتباشر لحساب الباب العالي تسوية المواد المختصة بانتفاع او بيع املاك السلطنة والاوقاف والمواد المتعلقة بالمصالح الخاصة التي ربما يكون داخلاً بها تابعو امارة بلغاريا الذين يسافرون او يقيمون باحدى ولايات تركيا فيخضعون للاحكام العثمانية

١٣ . تشكل بجنوبي البلقان ولاية تسمى الروملي الشرقية فتكون بالاطراد سياسياً وحربياً تحت سلطة الباب العالي بشروط شبه استقلال اداري واما حاكمها العام فيكون مسيحياً

١٤ . حد الروملي الشرقية من الشمال والشمال الغربي بلغاريا (لا حاجة الى سرد الخطوط الفاصلة فقد ذكرت في المادة ٢) ومن دونها الاراضي الداخلة في النطاق الاتي . ينفصل حد الروملي عن حد بلغاريا باكمة قادرتيب متبعاً خط انقسام الماء بين مجرى ماريكا ومنسكبيو من اخرى ثم يسير الى الجنوب

والجنوب الشرقي بقمة جبال ديسبوطاغ نحو اكمة كريسكوف (محل اخذ الخط بناء على عهدة سان استفيانو) ومنها يكون الحد مطابقاً ما حددت عهدة سان استيفانو اي سلسلة جبال البلقان السوداء (قره بلقان) وجبال كبلاجيداغ وايشك تشيلو وقره قولاس وايشيكلار التي منها بنحني راساً نحو الجنوب الشرقي ليتصل بنهر ارده ويتبع التالوج الى جوار قرية اره كالي التي لا تزال لتركيا

والخط الحاد من هذا المحل يتصل بقمة بستيبداغ ويهبط قاطعاً المارتيزة حتى يصل الى مسافة ٥ كيلومترات من جسر مصطفى باشا . ثم يصل نحو الشمال بخط انقسام الماء بين دميرهانلي دري ومنحدرات ماريتزة الى كريدلر بير ومن هناك يجتاز وادي توندزه الى بيوجوك دربند ومنها ياخذ خط انفصال الماء بين منحدرات تونزه شمالاً ومنحدرات الماريتزه جنوباً الى موازاة كيبيلار التي تكون للروم ايلي الشرقية . ثم يمر بجنوبي اتمالي بين مجرى الماريتزه في الجنوب وعدة مجار سارية راساً الى البحر الاسود بين قريتي بلغرين والانلي ويتبع شمال كرانيك قمم وسناوزيقاك والخط الفاصل ريكا من مياه قره فاكسي ثم ينضم الى البحر الاسود بين النهرين المسميين بهذا الاسم

١٥ . للسلطان الحق في المدافعة عن حدود هذه الولاية برًّا وبحرًا وذلك يجيز لهُ بناء استحكامات عليها واحلال مستحفظين بها . ويقام للملاحظة الداخلية في الروملي الشرقية شرطة وطنية بمساعدة ضابطة محلية ويجب لتشكيل هذين الجوقين اللذين يسمي السلطان ضباطهما ان يراعي مذهب الاهلين حسب المواقع . وتتعهد الحضرة السلطانية بان لا تعين للمحافظة على التخوم عساكر غير منظمة كباشبزق وجركس واما العساكر المنظمة المعدة لهذه الخدمة فلا يؤذن بان تقيم عند الاهلين ولا باية حجة كما لا يؤذن لها بالاستقرار في هذه الولاية عند مرورها بها

١٦ . للحاكم العام الحق في ان يستدعي العساكر العثمانية عند حدوث ما يخل بالطمانينة الداخلية وعلى الباب العالي ان يعلن لنواب الدول ما يقع معربًا عن الضرورة التي اوجبت ذلك

١٧ . حاكم الروملي الشرقيــــة العام يسميهِ الباب العالي باتفاق الدول وتكون مدتهُ خمس سنوات

١٨ . تقام لجنة اوربية بعد التصديق على هذه العهدة لتباشر بالاتحاد مع الباب العالي ترتيب الروملي الشرقية . ومن

واجباتها ان تقرر في مدة ٣ سنين سلطة الحاكم العام وخصائصهُ وطريقة الحكومة الادارية والمالية المتعلقة بالولاية ملاحظة الفرق الكائن بين شرائع الولاية وكذلك ما عرض على الجلسة الثامنة من موتمر الاستانة . وجميع المبادي التي تقررت للروملي الشرقية تنشر بفرمان سلطاني يعلن للدول

١٩ . يكلف قومسيون اوربي بالاتحاد مع الباب العالي لتدبير مالية الولاية حتى يتقرر نظامها الجديد

٢٠ . المعاهدة والاتفاقات المقررة او التي ستقرر بين الباب العالي والدول يعمل بها في الروملي الشرقية كما يعمل بها في السلطنة العثمانية . وتراعي هذه الولاية جميع الامتيازات الممنوحة للاجانب مطلقًا ويتعهد الباب العالي في هذه بان يراعي في هذه الولاية شرائع السلطنة العمومية في ما يتعلق بالحرية الدينية الشاملة جميع المذاهب

٢١ . حقوق الباب وتعهداتهِ في ما يخص بسكة حديد الروملي لا تتغير اصلاً

٢٢ . الجيش الروسي الذي يحل ببلغاريا والروملي الشرقية يؤلف من ست فرق من المشاة وفرقتين من الخيالة ولا يتعدى عددهُ ٥٠ الفًا وتلتزم البلاد الحال بها بنفقتهِ . وهذا الجيش

بحفظ اتصالاته ليس بواسطة رومانيا بناء على الاتفاق الذي يجرى بين المملكتين فقط بل بحفظ ايضاً بواسطة فرضتي البحر الاسود وارنا وبوغاس اذ يتمكن من حفظ ما يلزمهُ مدة الحلول التي لا تتعدى تسعة اشهر ابتداؤها من يوم توقيع هذه العهدة وبعد انقضاء هذه المدة ترتبط الحكومة الروسية بان تخلي بلغاريا والروملي الشرقية في مدة ثلثة اشهر

٢٣ يرتبط الباب العالي بان يجري بدقة النظام المرتب بجزيرة كريت سنة ١٨٦٨ مع التلطيفات اللازمة التي بحكم بعدالتها والترتيبات المناسبة الاحتياجات المحلية . والنظام المقرر بجزيرة كريت ما عدا ما يتعلق منهُ بالضرائب المعفية منهُ هذه الجزيرة يراعى في المقاطعات الاخرى من تركيا اوربا اعني التي لم يقرر لها ترتيب خصوصي بهذه العهدة . ويعين الباب العالي عمدات خصوصية يغلب فيها العنصر الوطني لكي ترى في نظامات جديدة لكل ولاية . واما لائحة هذا النظام الناتجة عن هذه الاعمال فتعرض على الباب العالي الذي يلزم قبل اصدار امره بتنفيذها ان يستشير اللجنة الاوربية المعينة للروملي الشرقية

٢٤ . اذا لم يتوصل الى الوفاق بين الباب العالي والمملكة

اليونانية في شان تحديد التخوم المعينة في البروتوكول ١٣ من لجنة برلين فالمانيا واوستريا وفرنسا وبريطانيا وايطاليا وروسيا يكون لها حق الوساطة لتسهيل المخابرات

٢٥ . تحل اوستريا بولايتي بوسنه وهرسك دون سنجق نوفي بازار الذي يمتد بين سربيا والجبل الاسود في جهة الجنوب الشرقي الى ما بعد ماتروفتزه فهو يستمر تحت ادارة الباب العالي لان اوستريا لم تشا اخذه ولكن لها حق في وضع حامية به تاكيداً للحالة السياسية الجديدة ولحرية السكك والاتصالات ويكون لاوستريا ايضاً سكك عسكرية وتجارية في مطلق امتداد هذا القسم اعني من ولاية بوسنه القديمة واما الاتفاق على التفصيلات في هذا الشان فمحفوظ لاوستريا وتركيا

٢٦ . يعترف الباب العالي والدول الموقعة باستقلال الجبل الاسود

٢٧ . راجع البند الخامس

٢٨ . تحدد تخوم الجبل الاسود هكذا . الخط الذي من ايليفو بردو شمالي كوبيك يهبط الى تريبنجسيكا نحو كرنكيفو التي للهرسك ثم يصعد على مجرى النهر الى سيبيليكا ومنها يتصل بواسطة الخط الاقصر بالاعالي المحاذية تريبنجسيكا ويمتد الى

بيلاتوفا الثي للجبل ثم يسير بالمرتفعات في الجهة الشمالية مبتعداً عن سكة بيليك كور يتوجا كو مسافة عشر كيلومترات الى العنق الكائن بين سوميا بلانينا واكمة كيريلو ومنها يسير شرقاً بفرانكوفيسكي تاركاً هذه القرية للهرسك ومنها الى اكمة اورين تاركاً للجبل رافنو. ثم يمتد مستوياً الى الشمال الشرقي قاطعاً تلال ليمبرسنيك وفوسيجاك ثم ينزل الخط الاقصر على البيغا الذي يجتازهُ وينضم الى الثارا صاعداً الى موجكوفاك ثم يتبع قمة الحصن سيسكوجيزو الى ان يتصل بالحد القديم عند قرية سيكيلار ومن هناك ياخذ قمم موكرا بلانينا تاركاً قرية موكرا للجبل ثم يتصل بمركز ٢١٦٦ من خارطة اركان المعسكر النمسوي تابعاً السلسلة الاصلية لخط انفصال الماء بين اللوم من جهة والدرين وسيفنا من اخرى ويتصل اخيراً بالتخوم الحالية بين كيسدريكا لوفيسي وكيكواجنا وكليمنتي وجيردي الى سهل بودوغريكه متجهاً الى بلافينيكا تاركاً لالبانيا كليمنتي وكريدي وهوتي

ومن هناك فالخط الجديد يقطع البحيرة بقرب جزيرة كوديكا توبال ومنها يتصل راساً براس القمة متبعاً خط انفصال الماء بين ميكيرد وكوليمد تاركاً ميركوفيك للجبل ومتصلاً ببحر

الادرياتيك عند كريسي في الشمال الغربي ويحد بخطٍ مارٍ من الشاطي بين قريتي سبسانا وزيبسي ومنتهاه في اعلى مركز من الجنوب الشرقي الى حد الجبل الحالي في فريستا بلانينا

٢٩. تعطى انتيفاري وساحلها للجبل الاسود تحت الشروط الاتية

ترد للباب العالي البلاد الواقعة في جنوب هذه الاراضي بحسب التحديد المبين اعلاه الى حد البويانا بما فيه دلسينو ويضم الى دلماسيا مشاع شبكا الى التخم الشمالي من الارض المذكورة في وصف الحدود المفصلة . وتكون الملاحة في البويانا حرة مطلقة للجبل الاسود فلا يقام تحصينات على مجرى النهر المذكور الا ما كان لازمًا للوقاية المحلية الراجعة الى شوكدار وذلك لا يتجاوز ٦ كيلومترات من البلدة المذكورة ولا يجوز للجبل الاسود ان يقتني سفنًا حربية وتكون مينا انتيفاري والمواني الجبلية الاخر مقفولة فلا تدخلها سفن حربية مطلقًا

والحصون الكائنة في ساحل الجبل الاسود تهدم ولا يعتاض عنها بغيرها في الخطة المذكورة . واما الضابطة البحرية والصحية في انتيفاري وساحل الجبل كله فتكون نمساوية تحملها سفن خفيفة على نحو خفراء السواحل . ويجب على الجبل الاسود

ان يخضع للشريعة البحرية التجارية في دالماسيا وتتعهد النمسا بان تعطي حمايتها القنصلية لاعمال الجبل التجارية وهو يلزمهُ ان يتفق معها في حق بناء واختطاط طريق ضمن اراضيهِ الجديدة وفي انشاء سكة حديد مع اعطاء الحرية للمواصلات على الطرق المذكورة

٣٠ . ان اصحاب الاملاك من المسلمين وغيرهم الذين يريدون ان يقطنوا خارج الجبل الاسود يمكنهم ان يحفظوا املاكهم بالمشاركة او بتسليم ادارتها الى خلافهم فلا ينزع من احد ملكهُ الا بطريقة شرعية لاجل نفع عمومي بعد ان ياخذ التعويض وتقام لجنة عثمانية جبلية مدة ثلث سنين لتسوية جميع المواد بالنظر الى البيع والتشغيل واستعمال ما يتعلق بالباب العالي من املاك الدولة وبالنظر الى المسائل المتعلقة بمصالح الخاصة الداخلية

٣١ . تتفق حكومة الجبل الاسود مع الباب العالي راسًا بخصوص اقامة وكلاء جبليين في القسطنطينية وغيرها من المقاطعات العثمانية حسبما تقتضي الظروف واما الجبليون المسافرون او المقيمون بالمملكة العثمانية فيخضعون للشرائع والاحكام العثمانية حسب المبادي العامة وحسب العوائد المقررة

الجبليين المذكورين

٢٢ . على عساكر الجبل الاسود ان تخلي في مدة ٢٠ يوماً بعد توقيع هذه العهدة او قبل ذلك اذا امكن جميع الاراضي الحالة بها الان وليست داخلة ضمن التحديد الجديد . وعلى العساكر العثمانية ان تخلي في هذه المدة ايضاً الاراضي المعطاة للجبل ويضاف الى مدتهم ١٥ يوماً لاخلاء الاماكن المنيعة واخذ الذخائر والمهام وكتابة الالات والاشياء التي لايمكن رفعها حالاً

٢٣ . يلقى على الجبل الاسود قسم من الدين الذي على تركيا بسبب الاراضي التي اضيفت الى بلاده بموجب عهدة الصلح . ووكلاء الدول بالاستانة يعينون كمية هذا الدين بالاتفاق مع الباب العالي ولكن على اساس عادل

٢٤ . تعترف جميع الدول الموقعة باستقلال سربيا معلقة ذلك تحت الشروط الاتية

٢٥ . الاختلاف الخ (راجع البند الخامس)

٢٦ تحدد سربيا على النمط الاتي . التخم الجديد يتبع فراش ادرينه من اتحاده مع الصاو تاركاً لسربيا ماني زورنيك وسنخر ماراً بحدود سربيا القديمة الى كابونيك ومنفصلاً عن راس

كانيلوك ومنهُ يمر اولاً على الحد الغربي لسنجق نيش على نطق
الجبال جنوبي قابونيق ومرتفعات ماريكا وماردار بلانينا التي
ينشأ عنها خط انقسام المياه ما بين فراش ايبار وستنيكا من
الجانب الواحد وبين توبليكا من الجانب الاخر تاركاً لتركيا
بيروكلاس . ثم يمتد التخم لنحو الجنوب على خط انقسام المياه بين
برونيكا والمروجه مخلفاً كل فراش المروجه للسرب ويتبع
مرتفعات كومجق لانينا بحيث يكون انفصال المياه بين كريدانيكا
من جهة وبولجانيكا وترنيكا وموراوا من اخرى الى قمة بولجانيكا
ثم يتجه الى نطق جبال بينا بلانينا فلتقى مياه كوينسكا بالموراوه
قاطعاً هذا النهر وصاعداً بخط اقتسام بين ساقية كونيسا وتلك
التي تصب في الموراوا عند بيرادوس ثم ينضم الى بلانينا سوبليجا
فوق تربو وبستهوهكذا يمرُّ بالخطوط المميزة على الخارطة ١٥١٦
و١٥٤٧ وبيبانينه غورا الى ان ينتهي عند جبل كرني اورب
الذي يتصل منهُ الحد الجديد بحد بلغاريا . يعني ان خط الحد
يتبع حد انقسام المياه بين ستروما وموراوا على مرتفعات اشرز
من فيلوكولو ومزيد بلانينا ويتصل بواسطة كاسينا وكرنازوفا
ودرسوسوكا بسهل درانيكا وبساميك وكلارانيك حيث خط
انفصال المياه الخاصة سولونيا العالية ثم يتجه راساً الى سطول

وينزل فيقطع على مسافة ١٠٠ متر في الشمال الغربي من قرية سكوزا طريق صوفيا الى بروت ثم يصعد في خط مستقيم على ودلك بلانينا ومنهُ على جبل رادوشينا في سلسلة جبال كودجا بلقان تاركًا للسرب قرية دويكنسي ولبلغاريا قرية سناكوس يتبع الحد الى الشمال الغربي من البلقان عن طريق بروبك بلقان واستارا بلانينا الى الحد القديم الشرقي من امارة السرب بجوار كولا ومن هذا الحد القديم الى الطونه اذ يتصل بهِ عند راغوفيتزه

٣٧ . تحفظ في سربيا الى ترتيب نظام جديد جميع الشروط المرعية حالاً بالنسبة الى اتصالاتها الجارية مع البلدان الاجنبية ولا يوخذ رسم مرور على البضائع التي تمر بها . واما امتيازات الرعايا الاجنبية والحقوق القضائية القنصلية وحمايتها على نحو العهدة المقررة فتستمر مرعية الاجراء طالما لا يحدث فيها تغيير باتفاق ذوي المصالح

٣٨ . يلحق حكومة سربيا ما خصها مما ارتبط بهِ الباب العالي مع النمسا وشركة سكة حديد تركيا في شان مد السكك الحديدية واتصالها بتركية اوربا وبما اكتسبت سربيا من الاراضي وبعد توقيع هذه العهدة يبرم حالاً الاتفاق اللازم لحل هذه

المسائل بين اوستريا والباب العالي وسربيا وتشترك معهن امارة بلغاريا في الحدود المختصة بها

٣٩ . اصحاب الاملاك الخ (راجع البند ١٢ و ٣٠)

٤٠ . الرعايا السربيون المسافرون او المقيمون بارض تركيا يعاملون بموجب مبادي الحق الدولي العمومية ويلبث ذلك مرعياً الى ان تعقد عهدة بين تركيا وسربيا

٤١ . يلزم ان السربيين يخلوا في مدة ١٥ يوماً من بعد التصديق على العهدة الاراضي الغير داخلة في حدود حكومتهم وكذلك يخلي العثمانيون في هذه المدة الارض المعطاة لسربيا ولكن يضاف الى المدة المعينة لهم مثلها لكي يتمكنوا من ترك المواقع الحصينة ومن اخذ المؤن وتسجيل الالات والمواد التي لا يمكن رفعها حالاً

٤٢ . يلقى على سربيا قسم من الدين الخ (راجع البند ٣٣)

٤٣ . تعترف جميع الدول الموقعة باستقلال رومانيا معلنة ذلك تحت الشروط الاتية

٤٤ . (راجع البند الخامس) واضيف اليه ان الغرباء في رومانيا يعاملون بالمسواة دون فرق بالمذهب

٤٥ . تترك رومانيا لامبراطور الروسية القسم البسارابي

الماخوذ من روسيا بموجب عهدة سنة ١٨٥٦ وهو المحدد غربًا بتالوج البروث وجنوبًا بتالوج ترعة كيليا ومصب سناري استامبول

٤٦ . الجزائر المؤلفة ذلتا الدانوب وكذا جزيرة سربن وسنجق تولشه المشتمل على مقاطعات كيليا وسولينا ومحمودية وايستشه وتولشة وماتشين وباباداغ وهيرسوفا وكوستنجه ومجيدية تضم كلها الى رومانيا التي يضم اليها ايضًا الارض الواقعة في جنوب الدبروجه الى خط شرقي بلستريا ينتهي في البحر الاسود جنوبي منغاليا . واللجنة الاوربية المكلفة بتحديد بلغاريا هي تحدد هذه الخطة باماكنها

٤٧ . مسألة تقسيم الماء والصيد تعرض على قومسيون الدانوب الاوربي

٤٨ . ليس على البضاعة التي تجتاز رومانيا عوائد مرور

٤٩ . تستطيع رومانيا ان تبرم عهودًا في ترتيب امتيازات القناصل وتعلقاتها بمسائل الحماية في الامارة . ولكن الحقوق الجارية الان تستمر مرعية الاجراء طالما لا تتغير بموجب اتفاق عام بين رومانيا وذوي المصالح

٥٠ . رعايا رومانيا المسافرون والمقيمون بالبلاد العثمانية

ورعايا العثمانية المسافرون او المقيمون برومانيا يتمتعون جميعهم بالحقوق المكفولة لرعايا الدول الاخر الاوربية ويدوم ذلك موعيًا حتى تعقد الدولة العلية ورومانيا عهدة ترتبان فيها امتيازات القناصل وتعلقاتهم

٥١ . تقوم رومانيا في الارض التي اعطيت لها بتعهدات الباب العالي والتزاماته فيما يخص المقاولات والاعمال العمومية وما شاكلها

٥٢ . ولما كانت حرية الملاحة في الدانوب ذات صالح اوربي اجمع الموقعون لصيانة ذلك على ان تهدم جميع القلاع والحصون المبنية على ضفة النهر من ابواب الحديد الى مصابه وان لا يبنى غيرها ثانية . ومنعوا ايضًا السفن الحربية من الملاحة في هذا النهر وذلك من فوق ابواب الحديد ولكن لا تدخل في هذا المنع السفن الصغيرة المعدة لحراسة النهر ولخدمة الجمرك . وجعلوا غلاتز حدًّا لمسير سفن الدول الراسية في مصاب النهر

٥٣ . لجنة الدانوب الاوربية التي يضاف الى اعضائها عضو روماني تستمر في وظيفتها ملاحظة اعمالها الى غلاتز ومستقلة فعلاً عن حكام الارض المتاخمة وقد تثبتت جميع العهد والنظامات والاعمال والقرارات المتعلقة بحقوقها وامتيازاتها

وسلطتها وواجباتها

٥٤ . قبل انتهاء الوقت المعين للقومسيون الاوربي بسنة واحدة تتفق الدول اما على تأييد ما ابرمت او على تغييرات ترى في ادخالها ضرورة

٥٥ . ان قوانين الملاحة المعينة من ضابطة النهر وحرسه وذلك من ابواب الحديد الى غلاتز يقر ترتيبها عمدة اوربية بمساعدة نواب الدول النهرية ويصير اجراؤها بموافقة تلك الشرائع المقررة لما تحت غلاتز

٥٦ . تتفق لجنة الدانوب الاوربية مع اصحاب الحقوق لتقرر نفقات المنارة في جزيرة سرين

٥٧ . لقد فوض الى اوستريا تنفيذ الاعمال المزيلة الموانع المؤخرة الملاحة والمسببة من ابواب الحديد والشلالات وينبغي على الممالك المتاخمة هذا القسم من النهران تسهل كل امر يوافق الصالح . وما تقرر في البند السادس من عهدة لندن في ١٢ مارت سنة ١٨٧١ في اخذ رسم وقتي لتسديد نفقة هذه الاعمال يجب ان يؤدى الى اوستريا

٥٨ . تركت المملكة العثمانية للمملكة الروسية في اسيا اراضي اردهان والقارص وباطوم ايضاً والاراضي التي

بين الحد القديم الروسي العثماني وكذلك الخطة الجديدة المبنية على الحد الجديد المبتدي من البحر الاسود طبقاً لتحديد عهدة سان استيفانو والممتد الى نقطة في الشمال الغربي لكوردا وفي جنوب ارتوين ويمتد في خط مستقيم الى اسكوروك ثم يتعداه مارّاً في شرقي اشميشو وذاهباً في خط مستقيم جنوباً ليتصل بالحد الروسي المعين في عهدة سان استيفانو وبنقطة في جنوبي ناريمان تاركاً اولتي لروسيا . ومن نقطة ناريمان يدور شرقاً ويمر بتيبيرينيك الباقية لروسيا ويمتد الى بنك تشاي ويتبع هذا النهر الى بوردون متجهاً نحو الجنوب تاركاً بوردون وقاسه داغ لروسيا . ثم يمتد الحد من نقطة في غربي قرية كاردكان الى حد جنجرت ومنها في خطٍ مستوٍ الى قمة جبل قاسه داغ ثم يحاذي خط انقسام الماء بين مجريي الراكسيس ومونرادسو جنوباً حتى حد روسيا القديم

٥٩ . جلالة امبراطور روسيا اعلن ان غايته جعل باطوم فرضة تجارية حرة

٦٠ وادي الاشغراد ومدينة بيازيد اللذان اخذتهما روسيا بموجب البند ١٩ من عهدة سان استيفانو يردان للباب العالي وهو يترك للعجم مدينة كوتور وارضها كما حددت ذلك لجنـة

انكليزية روسية كانت تعينت لتحديد تخوم تركيا والعجم

٦١ . يتعهد الباب العالي بان يجري بدون مهلة مطلق التحسينات والاصلاحات التي تتطلبها الاحتياجات المحلية في المقاطعات الارمنية وبانهُ يضمن لهم الراحة والطمانينة بازاء الاكراد والجراكسة وبان يعلن مدة بعد مدة للدول الساهرة على التنفيذ جميع الاحتياطات التي اتخذت لهذه الغاية

٦٢ . ولما كان الباب العالي قد اعلن من مطلق ارادتهِ انهُ يحافظ على مبدا الحرية الدينية معطيًا السعة اللازمة اقتضى ان يقيد الموقعون هذا الاعلان الاختياري

الاختلاف بين المذاهب في اقسام المملكة العثمانية لا ينبغي ان يعتبر علة تمنع احد الاشخاص من التمتع بحقوقهِ المدنية والسياسية او من تقليده الوظائف العمومية او الامتيازات او ممارسة احدى المهن والصنائع وكلهم يقبلون للشهادة امام المجالس بدون فرق في المذاهب

حرية الاديان مكفولة مطلقًا للجميع . ولا تجوز المعارضة لخدمة الدين ولا لرعاياهم بالنسبة الى علاقاتهم مع روسائهم الروحيين

الكهنة والحجاج والرهبان والمسافرون في تركية اسيا وفي

تركية اوربا من اية ملة كانوا يتمتعون بالحقوق ذاتها والفوائد والامتيازات نفسها

حق المحاماة الرسمية معروف للوكلاء السياسيين وقناصل الدول في تركيا وذلك عن الاشخاص المنوه عنهم قبيل هذا وعن مقاماتهم الدينية والخيرية في الاماكن المقدسة وغيرها

الحقوق المعروفة لفرنسا تحفظ تماماً غير انهُ لا يحصل تغيير في القوانين المقررة للاماكن المقدسة . رهبان جبل اثوس يستقرون في املاكهم ولو اختلفوا موطناً و ينالون منافعهم السابقة ويتمتعون دون استثناء بمساواة كاملة في الحقوق والامتيازات

٦٣ . عهدة باريس المبرمة في ٣٠ مارت عام ١٨٥٦ وعهدة لندن المبرمة في ١٣ مارت سنة ١٨٧١ يحفظ منهما ما لم يغير وما لم ينسخ بشروط هذه العهدة

٦٤ . يصدق على هذه العهدة ويتبادل التصديق ببرلين في مدة ثلثة اسابيع او فيما دون ذلك اذا امكن . واشعاراً بما ذكر وقع النواب على هذه العهدة وختموها

ابرمت في برلين في ١٣ تموز جوليه سنة ١٨٧٨

وهكذا كانت معاهدة برلين التي لطفت كثيراً من معاهدة سان استيفانو وقد كسبت روسيا بسارابيا . والاقاليم الارمينية

التي تومل ان تجري سلطتها فيها تصغرت وتقسمت غير ان محالفيها السرب والجبل الاسود انفردتا ودخلت النمسا كلسان بين هاتين الامارتين حاكمة على اقليمين عظيمين من الصقالبة وعليه فيكون دم رجال روسيا وانتصاراتها وخسائرها اعطت للنمسا بوسنه وهرسك وطريق سلانيك ولانكلترا جزيرة قبرص وموقع مهم في اسيا الصغرى

وابتدأت روسيا من نهاية سنة ١٨٧٨ في ان تفاوض الباب العالي بشان صلحها الخصوصي وفي ٨ شباط (ففريه) سنة ١٨٧٩ وقع البرنس لوبانوف على معاهدة الاستانة التي عينت مبالغ الغرامة واخلاء الروملي من الجيوش الروسية

وفي ٢٩ تموز (جوليه) قصدت الجيوش النمسوية الاقاليم التي سلمت اليها تحت قيادة الجنرال فيليبوفيتش وبعد معركة ٥ آب (اوغسطوس) دخلت موستار عاصمة الهرسك . واما بوسنه فقاومت كثيرًا وذلك لان عثمانيًا شهمًا اسمهُ الحاج لوسشا جمع الثائرين حول بوسنه سراي التي اخذت بالهجوم في ١٩ آب واذ تفرقوا زادت المقاومات . فالتزمت النمسا الى جلب قواتها فجاءت بثلاث فرق وقامت بمعارك هائلة الى ان سلم فزفورنيك على حدود السرب في ٧ ايلول والشجاع الحاج لوسشا اخذ في

٢ تشرين اول وفي ٢٧ منهُ سلمت ترينيه في الهرسك وفي ٢٨ سلمت كلوبويك اخر قلعة يشغلها الثائرون وبصدور العفو العام رجع السلام الى الولايتين المذكورتين

وجرَّب اليونان ان يحملوا الباب العالي على ترك الاراضي اليونانية التي ذكرت في موءتمر برلين ونظرًا لموانع السياسة الاوربية لم تحصل في بادئ الامر على بعض ما تطلب وقد تعبت فرنسا تجاه انكلترا كثيرًا بدون جدوى الى ان تظاهرت روسيا وتبين انها تتودد الى اليونان اكثر من الاول فعضدتها ففي حزيران (جون) سنة ١٨٨٠ قدمت الدول العظيمة لائحة للباب العالي تشير الى جعل الحدود اليونانية البينيه وكالاموس مع زيادة ٢٩٩ الفًا من النفوس فرفض الباب العالي ذلك. وعليهِ جعلت اليونان جيشها الصغير الى ٨٢ الف مقاتل وتهيأَت للغارة على ابيروس وتساليا فالتئم مجلس للتفاوض في دار السعادة واخيرًا قبل الباب العالي بان يتنازل في ٢٢ ايار (مايس) الى اليونان عن ارتا في ابيروس وبريغيزا والقسم الاكبر من تساليا مع لاريس وتريكالو

ومنحت كريت نظامًا اصلاحيًا وسمي عليها حاكم يوناني مسيحي في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٧٨

وفي ابيروس حمل المسلمون السلاح وكذلك الجمعية الالبانية عارضت بالقوة اجراء معاهدة برلين فيما يتعلق بتسليم الاراضي المتروكة للجبل الاسود فارسل الباب العالي جيشاً وقواداً لكبح الثائرين فذبح محمد علي في سنة ١٨٧٨ وحسن باشا في سنة ١٨٨٠ من الثائرين. واذرأى الجبل الاسود نفسهُ غير قادر ان يستلم مقاطعتي غيزينه وبلافا عقد مع الباب العالي اتفاقاً بان يمنحهُ بدلاً منها اراضي نهر زام غيران الجيوش العثمانية اخلت تلك الاراضي وقبل ان يدخلها الجبليون حلَّ فيها الالبانيون فاستانف البحث في شان مبادلة اخرى فقدم الباب العالي للجبل الاسود دولثينو فقبلها لكن وقع نفس العمل ودخل الالبانيون على اثر العساكر العثمانية فدعت هذه الاعمال اوربا الى ان تطلب في ايلول سنة ١٨٨٠ الى الباب العالي ان يجبر الالبانيين على تسليم دولثينو غيران هولاء لم يكونوا طائعين اوامر حكومتهم وفي سنة ١٨٨١ ثار الجبليون متظاهرين بالمعارضة فيما ترك لليونان والصحيح ليحصلوا على حكومة مطلقة فكسرهم درويش باشا بالقرب من بريفيزرند وذلك في ٢٠ نيسان

واما في البلغار فقد طلب البرنس دوندوكوف حاكم من روسيا موقت عقد مجلس اصلاح يتركب من ٢٨٦ عضواً فخالفهُ

في ذلك مفوضو الروملي الشرقية لان ذلك يضاد معاهدة برلين غير ان هذا المجلس اجتمع وانهى الاصلاح البلغاري والتئم في ٢٢ شباط مجلس مركب من ٢٥٠ عضواً منهم ٢٦ مسلماً لاجراء انتخاب امير لهم فترشح ثلاثة للامارة وهم البرنس دي روس والبرنس فلدمير دي دانمرك وهو من قبل الانكليز والبرنس اسكندر دي باتانبرج وهذا كان من عائلة دارمستاد ابن اخي امبراطورة روسيا وكان ملازماً في احدى الفرق البروسية وقد حارب تحت العلم الروسي في اخر محاربة البلغار. وحيث كان قد قدمهُ مطران روستجق انتخب باكثرية عدد الاصوات. وبعد ان قام بسياحة الى اوربا وزار امبراطور روسيا وملكة انكلترا وامبراطور المانيا جاء ليقسم يمين الاصلاح امام مجلس ترنوفو. وفي ١٢ تموز (جوليه) اقيم باحتفال دخوله الى صوفيا عاصمة الامارة وحينئذٍ استعفى الجنرال دندوروك من الحكومة واعتنى باصلاح العساكر البلغارية وجعل عددها مائة الف رجل واخلت العساكر الروسية بلغاريا

وابتدأت حينئذٍ الحياة الاصلاحية في امارة البلغار وتكدرت اولاً من جرى اخذ الثار الذي قام بهِ الشعب المسيحي ضد الشعب الاسلامي وبالكاد قدرت الحكومة ان تحميهُ وقد

هاجر البلاد كثيرون منهم وقلقت ايضاً من جرى اختلاف الاحزاب لانهُ كان يوجد حزب محافظة يرغب في عضد الحالة الحاضرة وهو مخلص لروسيا وحزب وطني لا يرغب في ان يفصل شيء من امارة البلغار على ما قررتهُ معاهدة برلين وحزب اخر حرٌّ راديكالي وهذا كان يريد ان يجعل الامير مالكاً بدون سلطة نافذة اي مقيداً . فالحزبان الاخيران الفا وزارة في نيسان (افريل) سنة ١٨٨٠ . وفي ايار (مايس) سنة ١٨٨١ انهى الامير بعض الاعمال السياسية بان امر بابطال المجلس الموقت واقام بانتخابات جديدة وانشأ مجلس شورى لكي يضاد بهِ النواب وعين وزارة محافظة ادخل بها جنرالين من الروسيين فسوبولوف عين للداخلية وكريلوف ومن ثم كولبارس للحربية وهولاء اجتهدوا لاضعاف حزب المحافظة حتى اذا تحرك رجالهُ للقيام بعمل حربي يمنعهم روساؤهُ بالقوة او يخرجونهم من الحدود واقيم مستخدمون وضباط روسيون بادارة الحكومة وبالجيش . وفي سنة ١٨٨٣ حصل سوبولوف مع وزارة الخارجية على رئاسة مجلس الشورى . فثارت الاراء ضد السلطة النافذة للغرباء كما جرى ذلك في سنة ١٨٨٢ . فالتزم ان يصرف الامير الوزير الروسي الحربي وقسماً من الضباط

واما في اقليم الروملي الشرقية فقد عين الباب العالي حاكمًا عليهِ بلغاريًا مسيحيًا وكان لهُ اسمين وهما الامير بوغوريدوس واليكو باشا . فدخل الى فيليبو بوليس في ١٨ ايار (مايس) سنة ١٨٧٩ وفي الحال ثارت الخواطر وعظمت المنازعات في شان الملبوس الذي كان يجب على الحاكم الجديد ان يلبسهُ عند دخولهِ الاحتفالي . ايكون الطربوش العثماني ام القبعة البلغارية واعقب هذه المسالة ايضًا اعظم منها وهي هل يكون اسمهُ عندهم اليكو باشا ام الامير بوغوريدوس والقصد في ذلك هل يكون بصفة مامور عثماني او حاكم وطني

وظهر استثناء رومانيا والسرب جديرًا بتوجيه القاب ساميــــة لحاكميهما ففي سنة ١٨٨١ دعي البرنس شارل دي هوهانزلرن بملك رومانيا وفي سنة ١٨٨٢ دعي البرنس ميلان بملك السرب

فهذا التقدم والتغيير حدث في الشبه جزيرة والامارات القديمة الدانوبية صارت ممالك حرة بواسطة الجنود الروسية وبلغاريا وصلت الى نصف الحرية حتى ان نفس الشعوب الخاضعة للباب العالي شعرت بالراحة من جرى انعام السلطان الاعظم بالاصلاح الجديد واجتهدت روسيا في اوربا بان

تفسر معنى معاهدة برلين الى احسن ما يكون لكن نفوذ روسيا
في الشبه جزيرة ضعف بواسطة السياسة النمساوية التي حركت
مجالس وشعوب المملكتين الجديدتين بما ربما يلقي خطراً ذا اهمية
على سلام اوربا

النيهيلست والمتحزبون في روسيا

موت اسكندر الثاني

وفي نفس ذاك الوقت اي الوقت الذي وصل بهِ الروسيون
الى قرب الاستانة اطلق فيرازاسوليتش الرصاص على الجنرال
تريبوف وذلك في ٥ شباط (ففريه) سنة ١٨٧٨ وحينئذٍ انتبهت
اوربا الى حالة روسيا الداخلية واخذ اهل المغرب في ان يهتموا
بمراقبة هذه الطائفة المخيفة واصل النيهلست نسبة للفلسفة
الارتفاع الى الاعلى

وكان حضر في السنين التي تبعت حرب القريم بعض
الطلبة من الروسيين الذين مارسوا الدروس في الكليات
الالمانية وجاءوا منها بافكار غريبة فالف بوشنر كتابهُ المسمى

(القوة المادية) وهذا حرم حالاً من الكنيسة وكان بعض الفلاسفة الالمانيين ساعدوا بعض الكتبة بالعلوم المادية الخ. ولا ريب ان هذا الاعتقاد الاخير نتج عن كل هذه العناصر فكان يزعزع كل ما وقرته الطائفة الروسية الى ذاك الوقت وكان في بلاد الغرب الكثيرة المجالس والحرية والملاحظات السياسية والاقتصاد ضعيفاً جداً بالنسبة الى روسيا. فهذه هي نتائج الفلسفة الباطلة

وكان المنتظمون في هذا السلك يسمون نفوسهم (الرجال الحديثون) غيران ايفان تورغيناف في قصتهِ المسماة (اباءٌ واولاد) اعطاهم الاسم الذي حولهم الان الى نيهيلست وفي الحال وجدوا رئيساً لهم وهو تشرنيشفسكي وهذا اقام جمعية سرية دعى اسمها (روسيا الشابة) ونظراً للاجتماعات الثورية المنتشرة ارتبطت هذه الجمعية مع الذين هربوا من الروسيين الى انكلترا وسويسرا وفي تموز (جوليه) سنة ٨٦٢ اقبض على تشرنيشفسكي بدعوى انهُ خدَّاع للفلاحين فحكم عليهِ المجلس باربع وعشرين سنة بالاشغال الشاقة بالمعادن ومن ثم بالنفي الى سيبيريا باقي ايامهِ وفي ٣٠ ايار (مايس) سنة ١٨٦٤ رفع على احدى محلات بطرسبرج المختص بالمجرمين وكسر سيفهُ فوق راسهِ وارسل الى معادن

نرتشنسك فمات اثناء وجوده هناك . وفي مدة قيامهِ مسجونًا في قلعة بطرسبرج كتب قصتهُ المسماة (ما العمل) فكان معنى هذا الكتاب علميًا لكنهُ جذاب للافكار كعلوم بعض النيهيلست وكان مشخصو هذا الكتاب لو يو كوهف وكيرمانوف وراكهمنوف وفيرابا فلوفنا

وفي مدة تشرنيشفسكي دخل المذهب النيهيلستي برجًا جديدًا ومع انهُ في البداية لم يكن الا فلسفة اصبح في الاخير حزبًا سياسيًا واتسع وانتشر كثيرًا . وينبغي ان نلاحظ هنا التفاوت الواقع بين لفظتي عاصي ونيهيلستي فقد يمكن للانسان ان يكون من طائفة النيهيلست بدون ان يكون رجل عملٍ بل رجل فلسفة وبالعكس

وكانت الهيئة الاجتماعية الروسية تحامي بنوع مستغرب عن الحرية العلمية بما زاد في تقدم هذا الحزب وكانت روسيا بكمالها وبكل مراتبها تشكي من التاخر الناتج عن الاصلاح لعدم موافقتهِ للبلاد لان الشرفاء اصبحوا مجردين عن قسم من اراضيهم ومحرومين من استعباد الفلاحين ولم يحسنوا او يتعودوا على الحراثة والفلاحة التي يطلبها النظام الحديث فضيق عليهم بواسطة نقص دخلهم وكذلك الفلاحون فانهم لم يكونوا يصبروا عند

نظرهم قسماً من اراضيهم متروكاً لصاحب السيادة القديم وقد ضيقت على مصاريفهم الخصوصية الاعتيادية مرتبات الدولة. ومن جرى قيام عدة كليات للعلوم الراضية زاد على الدوام عدد الطلبة ولم يتيسر لاولئك الطلبة الاَّ فيما ندر الدخول في الوظائف الادارية. وحيث اغتاظت نظارة المعارف العمومية من بعض تظاهرات مهيجة وضعت عثرة في طريق حرية التعليم بما صعب دورهُ ووضع قصاص صارم على غلطات طفيفة وهذا القى بالياس عدداً عديداً من العيال ومئات من المجردين من الوظائف. والمداخلات الثورية وقلة الشغل القت بمجر التعاسة جمهوراً غفيراً من الشبان الذين كان يمكنهم ان ينفعوا البلاد بحرارة الصبوة

ومثل هذا النمط وقع على جماعة النساء اللاتي سلمهن الزمان زمام الوسائط الفعالة لاقناع طائفة الرجال فانهُ كان قد فتح لهنَّ قبلاً مدارس رياضية ثم منعن من الدروس وهذا انتج في تلك الطائفة دوراً فعالاً ربطهن بالحزب المعاند. وفضلاً عن ذلك فانهُ اقيم بجانب القضاة وشيوخ الصلح المنتخبين رئيس ضابطة (جندرمه) وبوليس سري واقام جلالة الامبراطور جمعيات للقطيعات والاقاليم لكن روسيا كانت لا تزال الوحيدة

في اوربا حيث لم يكن بها جمعيات وطنية لسن القوانين وللنظر في ميزانية البلاد . وكانت الحرية الممنوحة لجرائد بطرسبرج ومسكو ممنوعة عن مدن الاقاليم ومثلها سائر المطبوعات ومن المقرر ان حرية المطبوعات لاتبقي الاحقاد في الصدور بل تنشر في الجرائد فيتشفى بذلك اصحابها مثلاً اذا اغتاظ احد الرعية من متوظف خالف باعمالهِ غاية القانون وراحة البلاد يومل انهُ ينشر ما وقع عليهِ من الظلم وما شاهدهُ منهُ من المغايرة المغيظة لكي يكيدهُ وياخذ لنفسهِ بالثار منهُ على ظلمهِ ويتاكد ان اولياء الامر يطلعون على وقوع ذلك الظلم وينظرون في حال المتوظف واعمالهِ وقس على ذلك وكثيرًا ما يحمل كل فرد على ابداء ما يستكن في ضميره الى ان يفرغ ولا يبقى بهِ من الحقد والكيد ما يحملهُ دائمًا على القهر والغيظ فيسعى خلف الوسائل المسهلة لهُ انفاذ ما ربه وابداء ما يلوح في ضميره ولا يسعنا البحث طويلاً في مثل هذا الشان غيران كل عاقل يعرف ما يترتب على حرية المطبوعات من المنافع للامة والحكومة بشرط ان تكون ضمن دائرة ادبية حائزة على ضروب الصدق والامانة للبلاد وللحكومة . وعليهِ فان الاهالي في روسيا بعد ان ذاقوا لذة الحرية وتدرجوا في اول طرقها لم يعودوا يكتفوا بالتدرب عليها

شيئًا فشيئًا بل تطلبوها دفعة واحدة

فمن جرى غيظ الشرفاء والفلاحين وحرارة الصبوة في الشباب الذين كانوا يؤملون ان الرتب والوظائف تفتح لهم ابوابها واثقال النظام العسكري وافعال بعض رجال البوليس الظالمة كل ذلك سهل تجمع الجمعيات السرية وانتشار الفتن في اكثر المواضع

ففي نيسان سنة ١٨٦٦ صرحت جناية كاراكوزوف باظهار الخيط الاول من تركيب احدى تلك الجمعيات اي جمعية جهنم التي كانت تعظ بالقتل . وفي الجمعية المجتمعة في بال سنة ١٨٦٩ وضع باكونين قانونًا يشتمل على هذه العبارات (تصفية الهيئة الاجتماعية . تجريد جميع اصحاب الاملاك عن املاكها . هدم دعائم كل حكومة وطنية وعلى خراباتها تبنى الحكومة الغير وطنية اي حكومة العمل) . وفي نفس هذا الوقت افترق هرزين عن الثائرين الجديدين وارضى باكونين صديقه القديم بقوله . ان الحقيقة تطلب من جديد فالروؤس لا تكون متاثرة من التاثيرات السابقة . وبسبب دعوى تشايف في كانون الثاني (جانفيه) سنة ١٨٧٢ عقيب قتل احد الطلبة توصلت الحكومة الى ان اكتشفت على قانون الجمعيات السرية

وشددت القوة على المذاهب وتجنبت الحكومة لان تحاكم اعضاء الجمعيات السرية والاشخاص المتظاهرين بسياسة عدوانية وفضلت الحكم قياساً على غيره بان تدخلهم بالجيش او تنقلهم الى سيبيريا ومع ذلك فقد اقيمت عدة دعاوى ذات اهمية تبعت دعوى نتشايف منها دعوى بطرس الكسياف اي دعوى الخمسين ودعوى ميشكين وهي دعوى المائة والثالثة والخمسين (في سنة ١٨٧٨) . ودعوى بوغوليو بوف مختلطة باحدى هذه الدعاوى وقد حكم عليهِ بالاشغال الشاقة في سيبيريا وفي مدة قيامهِ في حبس بطرسبرج زارهُ الجنرال تريبوف حاكم المدينة فتشاجر واياه فضرب بالعصي وهذه المعاملة كانت غير قانونية بل بربرية محضة لان جلالة القيصر كان قد ابطل العذابات الجسدية منذ سنة ١٨٦٣ وسمعت احدى بنات المدينة وهي فتاة اسمها فيرازاسوفيتش باذاعة هذه الجريمة . واوشي على هذه الفتاة بعمل غير مهم فقبض عليها واودعت السجن وبقيت عدة سنوات فطلبت مواجهة الجنرال تريبوف لتقدم لهُ استدعاء واطلقت عليهِ الرصاص فقيدت الى مجلس القضاة وكان اثناء استماع الدعوى قد اشرق نور الحق على مظالم البوليس فابانها كما هي ولم تعد فيرازاسوفيتش الخصم المضاد للقانون بل تلك الاعمال

التي كانت تطرح على روسيا اثقال المغايرات والمخالفات لروح
الارادة الامبراطورية وكان يظهر من اعمال البوليس ان هذا
يسرق الاوراق من المجالس وهذا كان يحجر ويوقف بدون
محاكمة وهذا كان يستعمل الدخل الاميري واسطة للاضطهاد
وذاك القائم على السجن كان يخضع المحبوسين بقساوة غير قانونية
فمجلس القضاة المركب من اصحاب الاملاك والمتوظفين حكم
ببراءة فيرازاسوفيتش ولكن البوليس حسب العادة اراد ان يعيد
القاء القبض عليها عند الخروج من الجلسة لكي ينفيها او يرجعها
الى السجن الآن اصدقاءها خلصوها بالقوة فكل هذه الحوادث
سببت في روسيا تاثيرًا عظيمًا وهكذا تظاهرات كانت بالحقيقة
محزنــــة

وكان الراي العام قد هاج كثيرًا وظهر في سياسة الحكومة
الداخلية ما يوجب تشكيات كثيرة وعند ابتداء حرب الشرق
شاهدوا نفس المشهد الذي كان في زمن حرب القريم . وهو
خراب وقبول رشوة وعدم سعة في بعض الفروع الادارية
العسكرية واعمال ثقيلة ومحاربات في اسيا واوربا وقد كلفت
هذه الحرب البلاد الروسية نحو ثلاثمائة الف رجل وافرغت
الاموال من الخزائن وزعزعت اركان صيتها ولو مهما كانت

نتيجتها مجيدة. وادعت السلافوفيل قائلة ان روسيا سقطت امام اوربا وقبلت في برلين اصلاحاً معيباً لعهدة سان استيفانو واحتملت الشروط التي سنتها انكلترا ولم تكن انتصاراتها الاَّ لتنفع بتوسيع اراضي اخصامها. ودخول النمسا الى الشبه جزيرة جعل تلك الشعوب ان تسلم لايدي النفوذ الالماني الكاثوليكي وان تهدم امال الصقالبة من الاجتماع الى بعضهم

وفي الثالث من حزيران (جون) القى اكساكوف خطاباً شبه بهِ المتشرعين الروسيين بداغوليو بوف وبفيرازاسوفيتش واظهر فيهم مزية النيهيلست الحقيقية. وفي آب (اوغسطس) سنة ١٨٧٨ فكرت الحكومة انها تسكن الهيجان اذا امرت بابطال الجمعيات السلافوفيلية واقام الاحرار بتمثيلات مكدرة بينوا فيها حالة الروسيين مع الشعوب التي ساعدوها وليس فقط رومانيا والسرب والجبل الاسود بل البلغاريين الذين يظنونهم عبيداً الى حد الامس وليس المسيحيين وحدهم بل العثمانيين جميعاً حصلوا على نظام عادل والراحة استتبت في كل النواحي. وعليهِ فقد وصلت روسيا لان تحسد بلغاريا التي حررتها والدولة العلية التي حاربتها لوجود الراحة في داخليتها على الدوام. وقد تبين اخيراً ان جماعة السلافوفيل الاحرار الذين اقاموا اعتياديا

بقطيعات مختلفة جداً تبعد عن بعضها البعض وجدوا باتفاق تام ضد الحكومة

ولم يحرم العدميون (النيهيلست) من ان يستفيدوا من وقوع تشكيات جديدة واشترك باحساسات الحب الوطني كثيرون من الاجانب الذين يرغبون ان يكونوا من الشعب · وقد تكلم الذين يحتقرون تنظيمات المغرب عن الاصلاح. وكثرت المطابع السرية ونشرت عدت منشورات وجرائد منها الجريدة المسماة (الارادة الوطنية) والجريدة الوطنية المدعوة بما معناه (الارض والحرية) · وتالفت احزاب الثورة بقوة عظيمة واخذ بمراقبة الجمعيات السلمية التي وجد في تعاليمها ما يشتبه بهِ وكان الارضيون (تروديست) قليلي العدد لكنهم رجال شغل لا يكلون ولا يملون ولا يعيقهم شيء عن اتخاذ الوسائط المنفذة لغاياتهم وفي هذا الحزب الاخير قامت جمعية سرية دعيت (الجمعية الاجرائية)

وفي ١٧ نيسان (افريل) بعد تبرئة فيرازاسوليتش بخمسة ايام ضرب ماتفيف رئيس كلية كياف وترك بين ميتٍ وحي على سلم المكان العلمي المختص بمجلس العلماء وبعد بضعة ايام ايضاً ضرب بالخنجر ايضاً في كياف هيكانغ ضابط الضباط في

نصف الطريق وفي وسط النهار . وفي بطرسبرج في ١٦ آب (اوغسطوس) ضرب بالخنجر في الساحة المودية الى قصر ميشل الساعة التاسعة صباحاً الجنرال ميزانتشف رئيس الفرقة الثالثة واشهرت جريدة الارض والحرية ان هذه الذبائح لا بد منها لانهُ قد حكم على اصحابها بالقتل وكان قبل ضرب ميزانتشف وصلهُ الحكم عليهِ بالموت . ومما قالتهُ هذه الجريدة ان انفاذ الحكم كلف الحزب ٦ الاف روبل ولم يتيسر توقيف القتلة . ومنذ ذاك الوقت استولى الخوف على روسيا واضطرب اصحاب الخطط ولم يعد يظن ولا رجل من اصحاب السلطة انهُ يامن على نفسهِ من غضب المجلس السري الذي كان يحكم وينفذ حكمهُ حالاً

وفي ٢ نيسان (افريل) سنة ١٨٧٨ نشر الامبراطور اعلاناً ما لهُ ان المجالس العسكرية غير مسئولة بالمستقبل عما تفعلهُ عند وقوع المنازعات السياسية . فهذه التهديدات لم تكن الا لتزيد القضاء ضد السلطة وتسلمها منفردة لضربات اعدائها وبعد ان كان الراي العام ميالاً للقيصر المخلص ومعترفاً باعمالهِ العظيمة اصبح في ذاك الحين متحايداً غير مهتم بهذه المبارزة المرعبة القائمة بين السلطنة السائدة والثورة

وفي ١٤ نيسان اطلق سولوفياف خمس طلقات (ريفولفر)

على جلالة الامبرطور وذلك امام قصره في بطرسبرج فأخطاهُ ولم يصبهُ وقبض على الجاني وحبس

وهذا الحزب عوضاً عن ان ينكر القصد بقتل القيصر افتخر بهِ وبعد ايام نشرت جريدة الارض والحرية فصلاً طويلاً على اهمية سياستهِ، منهُ. ان هذا القتل ضروري لا يمكن للجيوش ان تمنعهُ ولا يمكن ان ينبأ عنهُ من طائفة الجواسيس الماهرين والسريعي العمل والكثيري الحيل فهاكم واسطة يا اصدقاء الحرية ان بعض ذبيحات خفيفة الزمت الحكومة ان تقف في موقف الحصار وان تضاعف البوليس وان تقيم محطات من القوزاق في كل الزوايا وان تنشر بالبرية فرقاً من الجندرمة وكان من نتيجة استحضاراتنا التي تلقي باليأس ان تتم الاعمال الموجهة ضد السلطة التي قام بها شبان كثيرون منذ سنين واجيال ولم تقدر ان تزعزعها بل تركت اولئك المضطهدين يأنون من العذاب او من القتل او النفي والشغل بمعادن سيبيريا ولهذا السبب نعترف نحن بالقتل كاحدى الوسائط الاولى التي نقدر عليها لاثارة حرب شديدة تجاه الظلم الروسي . انتهى

وكانت قد التجأت الحكومة فعلاً الى اعظم الوسائط . ففي ١٧ نيسان (افريل) سلم الامبراطور الاحكام العمومية في موسكو

وكياف وفارسوفيا الى سلطات مطلقة واقام ايضاً ثلاثة حكام
عموميين مطلقي السلطة ايضاً في بطرسبرج وكاركوف واودسا
وكان اسم اولئك الحكام الثلاثة عظيماً ومحبوباً في كل قلب
روسي ووجب ان يكونوا تجاه الشعب تنبيهاً للخطر العظيم الذي
كان يتهدد الحكومة وهم كوركو ولوريس مليكوف وتوتلبن
فزادت المداخلات العسكرية وتزايد ايضاً التسفير الى ان بلغ
الالوف . وقتل سولوفياف وغيره واصبح حراس ابواب البيوت
(بوابون) مساعدين للبوليس

وخمدت نيران المذابح مدة . ومن ثم في اول كانون الاول
سنة ١٨٧٩ بينما كانت المركبة الامبراطورية اتية من ليفاديا
وقبل ان تدخل محطة موسكو طرحت الى خارج الخطوط بغتة
بواسطة طيران لغم كان قد حفر تحت الطريق الاّ ان اولئك
الجانين كانوا قد غلطوا لان الامبراطور كان قد سبق ودخل
موسكو بمركبة غير هذه . وكان ذاك المرتكب هرتمن الذي دخل
فرنسا فاراً من القصاص فسعت الحكومة الروسية في القبض
عليهِ وطلبتهُ من فرنسا . فلم تسلمهُ تلك . وفي ٤ كانون الاول
اعلنت جمعية النيهيلست الاجرائية حكمها بقتل الامبراطور
لكن عادت فاعلنت في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٨٨٠ شروطها

حتى اذا حصلت عليها تبطل ذاك الحكم وتلك الشروط كانت حرية الذمة التامة وحرية الطبع الى الدرجة الاخيرة والتكلم والاجتماع ومرسح عمومي وقبول الصوت العام وتحويل الجيش الدائم الى قرعة عسكرية وفي هذا الاعلان كانت تلك المطالب القانونية تمتزج بالاوهام الكثيرة الخطر · ومما يلحظ ان ذاك الحزب لم يكن على اتفاق تام بسبب الاحتقار الذي اعلنوه بطالب الحريات على النسق الغربي . غيران هذه المطالب كانت تظهر لدى الشعب عادلة ولذلك ظهر انها تضمن لهم حيادة باقي الاحزاب من الاحرار وغيرهم فيسهل عليهم القيام بالمعارك ضد القياصرة

وفي ١٧ شباط من سنة ١٨٨٠ كانت العائلة الامبراطورية في قصر الشتاء وفيما هي عازمة على الدخول الى حجرة الطعام التهب في الحال ديناميت كان وضع تحت تلك الحجرة وحجرة الحراس التي تحتها فقذفهما الى الجو . ولكن في ذاك الوقت كان الامبراطور وعائلتهُ قد تاخروا بضع دقائق عن الدخول الى الطعام ولذلك لم يصبهُ ضرٌ ولا اصاب احداً من عائلتهِ الكريمة لكن قتل من الحراس من فرقة فينلاند ستون نفساً وجرح اربعون وعليهِ ظهر ان وسائط القتل تحسنت واتقنت جيداً اعند

اولئك المتآمرين ودخل الديناميت ساحة الاجراء مرفوقاً بالخنجر والطبنجة

فاتخذت الحكومة عدة وسائط لصيانة حياة الشخص الامبراطوري فابطلت حكومة بطرسبرج الحالية وقام مقامها حكومة اجرائية فعالة واقيم في راسها لوريس مليكوف وسلم اليه نوع من السيادة العسكرية على العاصمة ونواحيها. فطالت يده على الدعاوى السياسية المتعلقة بحياة المملكة وعلى كل الحكومات حتى وعلى الحكام. وفي ٣ مارث اطلق عليه الرصاص ملودتزكي احد النيهلست فلم يصبه فقبض عليه حالاً واوقف وعند السوال من ذاك الجاني قال له (انك لم تفعل شيئاً ضدنا وقد اطلقت عليك الرصاص ولو لم افعل ذلك انا لكان يفعله غيري واذا لم يكن هذا فسيفعله ثالث. لان الكونت مليكوف سيقتل من يدنا). وبعد اعدام هذا الجاني ببضعة ايام. شهرت الجمعية اعلاناً ما له (انها لا تبطل هذه المعارك الا عندما يضع الامبراطور اسكندر الثاني السيادة في يد الشعب ويترك لهم بقوة البيان الاعتناء بوضع اسس للاصلاح الوطني). وبعد ذلك بقليل اي بعد اعدام خمسة من اولئك الذين تعدوا على قصر الشتاء كتبت جريدة النيهلست تتهدد الامبراطور بأوامرات جديدة

وبقي لوريس يشدد المحافظة ويبحث على افراد النيهيلست ولا يترك كل من يشتبه فيهِ بانهُ ربما كان ذا علاقة مع المتآمرين ومع انهُ سامح كثيرين لم يخلص من الاضطهاد جماعة من الابرياء فارسل الى سيبيريا الوف من الاشخاص ودخل اوربا كثيرون واخيرًا جرب لوريس مليكوف ان يتخذ طريقًا عادلة ففتش الحبوس وفحص في اوراق دعاوى الموقوفين ونال من لدن الامبراطور الامر بان يطلق قسم من اولئك المحبوسين في الحال وان تقام دعاوى الباقين عاجلاً وهذا سهل لنحو الفي نفس من الطلبة ان ترجع الى الكليات التي نفوا منها وردت اليهم اكياسهم ووهبوهم مساعدات نافعة وبعد ان كان نحو ثلاثمائة مستخدم قد طردوا من وظائفهم ارجعوا اليها

وقد عرف لوريس مليكوف ان احسن واسطة لتقرير الراحة وارجاع الامن اتخاذ الطرق اللينة والمعاملة باللطف والتسامح وكان يفكر ايضًا انهُ كيف كانت الحال لا بد من أن يمنح الشعب بعض المطالب التي يطلبها غير ان البعض من الذين كانوا يكرهون اعمال العدميين (النيهيلست) نددوا كثيرًا بالحكومة مدعين بانها غشت امال البلاد . وفي اول اذار (مارت) سنة ١٨٨١ عقدت جمعية من شرفاء حكومة

بطرسبرج وقدمت استدعاء للامبراطور تبين فيهِ حالة اميال
الاهالي من جهة العدميين وكان نفس جلالة القيصر يوكد ان
الحكومة لا تقدر ان تعضد تلك المعركة المرعبة الحادثة من
باغضي السلطة ما لم تستند على مساعدة الشعب . فطلب اليهِ
مليكوف رويداً رويداً وبكل خضوع وانس ان يمنح روسيا
نوعاً من المطالب التي يطلبونها وقد يكفي ان يطلب لمستشار
الدولة منتخبون وان تقام مجالس اقليمية وجمعيات شرفاء ومجالس
بلدية في كل المدن الخ

وان تكن مثل هذه المنح لا تجرّد النيهيلست من سلاحهم
لكنها بدون شك كانت ترضي الاهالي وترد لذاك الامبراطور
العظيم محبة الشعب التي كانت لهُ في سنة ١٨٦١ . وكان لفيف
الاحرار يطلب بالحرية الاولية الامان والحرية الشخصية واقامة
مجالس تفتيش على البوليس . ولم يكن الارضيون (فرع من
النيهيلست) كثيرون كما نشرت جريدة موسكو بوقتهِ من ان
عددهم عشرة الاف نفس غير انهم كانوا رجال جدٍ وعمل
فكانوا يوجدون في كل المؤامرات والاجتماعات مستترين تحت
اسماء مختلفة في موسكو وفي كاراكوف وفي بطرسبرج فمنهم كان
اصحاب جرائد وطباعين ومهندسين لحفر اللغومة وكيماويين

لتحضير المواد الملتهبة ورجال عمل اني لاستعمال الخناجر والغدارات كل ذلك وهم متخفون

وقد ثبت ان اربعين او خمسين نفساً من اولئك قاموا بعهد وثيق مع الموت معتمدين على انفاذ مقاصد الجمعية غير مبالين بما يتهددهم من الاخطار والذي ساعدهم على نوال ما يتمنوهُ تشجيع الاهالي من رفاقهم الذين دفعوهم الى مثل هذه الاعمال الكبيرة الخطيرة وتغاضي الاهالي الذين ليسوا من رفاقهم على القيام ضدهم والوقوف تجاههم ومن المعلوم الثابت ان هكذا جمعية قادرة فعالة تبذل النفيس بعد النفوس لانفاذ غاياتها وتقوم بكل الاعمال الخفية التي لا يظن انها من طائفة بشرية لا تكبح او تظهر اعمالها وتمسك افرادها باجتهادات الحكومة ما لم يساعدها على ذلك الاهالي الغير منتظمين في سلكها لانهم يقدرون ان يكتشفوا بالطبع على تلك الخفايا مهما كانت عظيمة بسهولة كلية اكثر منها ولا سيما لانهم في وسطهم فلو راقبوا اعمالهم لما خفيت عليهم فلو الفت جمعية من الاهالي ضد اولئك المتآمرين العاملين على ذبح رجال الحكومة وكان فيها بعض الوسائط الفعالة من مساعدة الحكومة لما تمكنت من انقراضهم او بالحري من تشتيتهم وضياع اعمالهم

وفي شهر شباط (فقريه) سنة ١٨٨١ وضع الامبراطور اسكندر نواياهُ في مجلس منعقد من الامراء والاعيان للبحث والنظر فيها وكان لوريس مليكوف وابازا وفالوياف يطلبون بالحاح قبول مقصد الامبراطور واظهاره الى الفعل بما امكن من السرعة. غير ان العادة المألوفة عندهم بتاخير الاعمال اخرت التصديق عليهِ وفي ٩ اذار (مارت) وقع على لائحة ذاك الاصلاح وصدقت بخط الامبراطور نفسهِ وتاخر نشرها الى ١٢ من ذاك الشهر. وفي ١٣ منهُ عرف باكتشاف موامرة جديدة ففي الصباح اصدر امرهُ الكريم بنشر تلك اللائحة في جريدة (المراسل الرسمي) ومن ثم ذهب لاجراء الكشف على الطائفة الجندية قاصداً ان تعرض عليهِ العساكر وقد انهى على ذلك لما فيهِ من الخطر غير ان شجاعتهُ العجيبة وعدم خوفهِ من الموت واتكالهِ على العناية الالهية التي حفظتهُ من الموت عدة مرات حملتهُ على ان يتم ذاك العمل. وقبل ان ذهب قال لزوجتهِ. (اني منذ امد قريب وقعت على ورقة اصلاح وهي التي على ما اؤمل تنتج تاثيراً حسناً وتعرف روسيا المحبوبة مني اني اهبها كل ما هو ممكن)

والحاصل انهُ بينما كانت تلك الورقة او بالحري اللائحة الحاوية الاصلاح الموهوب من لدن الامبراطور والتي كان يمكن

لو تاخر قتل الامبراطور مدة وجيزة لحفظت حياته من الموت في المطبعة بين يدي جامعي الاحرف جرى مقتل الامبراطور . وذلك انهُ في الساعة الثالثة بينما كان راجعاً الى قصر الشتاء راكباً مركبتهُ محاطاً بموكبهِ من فرسان القوزاق فعند وصولهِ من زاوية زقاق ميشال طرحت اكرة محشوة من المواد الملتهبة على مركبتهِ وفي الحال انفجرت وكسرت المركبة وقتل فيها كثير من العساكر وغيرهم وجرح كثيرون وكان مرتكب هذه الجريمة ريساكوف فقبض عليهِ وسجن واما الامبراطور لم يصب بضرر من تلك الاكرة فخرج من المركبة وقال بصوت حنون شفوق غير مبالٍ بالخطر ولا خائف مما جرى . دعوني ارى المجاريح غيران في نفس الوقت يد شريرة طرحت بين رجليهِ اكرة ثانية من مثل تلك فانفجرت والتهبت وعند انقشاع دخان الالتهاب وجدت بين اجساد القتلى جثة الامبراطور اسكندر الثاني مكسورة الافخاذ وبطنهُ مفتوحاً ووجههُ متغير الصورة ولم يتحرك الاَّ عند وصولهِ الى القصر فصحى هنيهة ثم توفاهُ الله دون ان يقدر على التفوه بكلمة واحدة

ولا يمكن للعقل البشري ان يتصور فظاعة تلك الاعمال البربرية التي تاباها النفوس دون ان ينفطر قلبهُ حزناً على ذلك

القيصر العظيم والرجل الفاضل وهكذا انقضت حياة ذاك
المخلص الوحيد الذي في سنة ١٨٦١ بعد ان بذل معظم اهتمامهِ
تم خلاص الفلاحين من ربقة العبودية وانهضهم من حضيض
السقوط الى اعالي الراحة والحرية واذاقهم لذة عيشة المساواة
واهتم بتنظيم داخلية البلاد واجراء كل عمل عرف من نفسهِ انهُ
واجب لراحة رعاياه المحبوبين منهُ نعم قد انقضت حياتهُ بعد ان
ضحى معظم سنيهِ في خدمة الامة واتساع المملكة ففتح الفتوحات
العظيمة في اواسط اسيا وقرر في تلك البراري سلطة حكومتهِ
واظهر للدول الاوربية وللعالم قاطبة ان الدولة الروسية في
مقدمتهم فهو الذي انهض المانيا من درجتها المنحطة الى ان
وضعها في مصاف الدول الاولية وساعدها على نوال غايتها
من انحطاط اعدائها وهو الذي اهتم في سنة ١٨٧٧ و ١٨٧٨
بشعوب البلقان فسار بنفسهِ الى ساحة القتال مصحبًا معهُ كل
شجعان عائلتهِ لمحاربة شجعان العثمانيين ولا يخفى ما في ذلك من
التعب على رجل عظيم كالقيصر المرحوم ولاسيما في زمن البرد
والشتاء وتساقط الثلوج الغزيرة في تلك البلاد الباردة ومع كل
ذلك فانهُ في نفس يوم قتلهِ لم يبخل على شعبهِ المتآمر باعطاء ما
يطلبهُ فمنحهُ الاصلاح المريح لكنهُ سقط ذبيحة لسياسة عديمة

الوعي كانت نتيجتها محزنة للبلاد ومشؤمة عليه

وفي ١٩ اذار (مارت) نقلت جثتهُ من القاعة التي مات فيها في قصر الشتاء الى كنيسة القديسين بطرس و بولس باحتفال عظيم نذكرهنا بعضهُ . وهوانهُ في باديء الامر اطلق من المدافع ثلاث طلقات تنبيهاً للناس ليتهيئوا الى اتخاذ المراكز المعينة لكل منهم . وعند الظهر اطلقت طلقات كهذه علامة للمسير واذ ذاك نشرت الراية البيضاء فوق القلعة وعليها علامة الامبراطور المقتول واخذت المدافع تطلق طلقاً بعد طلق في كل دقيقة وجميع اجراس المدينة تقرع قرع الحزن وصفت الجنود على جانبي الطريق بطولهِ وسمح للناس عموماً ان يقفوا وراء الجنود ونشرت في جميع البيوت رايات الحداد وعلامات حزن اخرى . وكان القوم الذين قاموا بالاحتفال ١٢ فرقة ففي الاول كان يسير تشريفاتي ومن خلفهِ حراس الامبراطور الخصوصيون ثم الباقون والمطبلون المختصون بالجيش الخاص وهم من الفرسان ثم فارس لابس ملابس رسمية بالحداد التام ثم مشير عالي الرتبة وفرقة صغيرة من جيش الامبراطور واربع فرق من جيش بادلوفسك من الابطال ثم مهندسو الجيش الخاص ثم مامور اولي من الاصطبل الامبراطوري ووراءهُ اربعون من

المشاة يمشون كل اربعة رجال في صف ثم خدامون وضباطون .
وفي راس القسم الثاني كان تشريفاني اخر راكبًا وراءهُ حامل
عصا وحامل الراية الامبراطورية وفرس جلالتهِ ومن جانبيهِ
ضابطان ومن خلفهِ خادمان . ووراء ذلك خمس رايات وعلى
كل منها علامة نشر كاسك وارمينيا وكاباردا وجورجيا وكرانلين
يحملها مامورون راكبون من الرتبة الثامنة وضابطان يقودان
كلاً منها . والقسم الثالث يولف من ١٤ راية يحملها مامورون
راكبون ووراءهم افراس وخدامون والقسم الرابع والخامس
وفيهما ٢٦ راية من رايات اقسام روسيا الاخرى ووراءها عدة
رايات وعلامات امبراطورية اخرى كراية البحر وكان يحملها
رئيس بحري ملابسهُ حدادية ومعهُ رئيسا بارجتين ووراءهما
الراية الكبرى السوداء والبيضاء الحريرية ومعهما العلامات
الامبراطوريـــة . ووراء هذه الراية فرس لابس ملابس فاخرة
وبطل لابس خوذة ودرع ذهبي راكبًا جوادًا مزينًا وفي يده سيف
مسلول ويظن انهُ رمز الى صفات الامبراطور المائت الزاهرة .
وخلفهُ كان يمشي رجل مدرع وسيفهُ مسلول تحت راية الحداد
المصنوعة من الحرير الاسود ووراءها جواد لابس اسود وخادمان
وضابطان من ضباط الاصطبل الامبراطوري . والقسم السادس

كان في مقدمتهِ تشريفاتي راكباً ووراءهُ قائد من رتبة ماجور جنرال وضابط من الرتبة السادسة حاملاً مجان شالونيك هولستين وتوريدا وسيبيريا وفلاند و بولونيا واستركان وكازان ونوفغورود وفلدمير وكايف وموسكو ومجن الامبراطورية العظيمة امامهُ اربعة قواد بحملهِ قائدان يعاونهما قائدان اعظم منهما وجميعهم لابسون الملابس الرسمية مع علائم الحداد التام . وفي مقدمة القسم السابع تشريفاتي ايضاً تمشي وراءهُ الجمعيات الثلاث النائبة عن الفلاحين والمتوسطين من الاهالي والتجار من جمعية الادارة المحلية وحاكم بطرسبرج وكاتبهُ ورؤساء الحرف وكل منهم حامل ما يرمز الى حرفتهِ ثم المجالس في الولايات والامراء في القاعدة والولايات ووكلاء المحاكم وغيرهم

وبعد هذا القسم قسم اخر امامهُ تشريفاتي وهو مؤلف من جمعية الصليب الاحمر والجمعية الاقتصادية والاحسانية وغيرها . ووراءها مامورون يشخصون نظارة البرد والتلغراف والعدلية والطرق وغيرها من النظارات ووراء هذه فرقة من مدرعي الجيش الخاص ورسولان واربعة قواد من رتبة كولونيل حاملين سيوف الامبراطورية الاربعة مقلوبة ووراءهم جمهور من المامورين حاملين وسادات ذهبية عليها

النياشين الاجنبية المختصة بالامبراطور المتوفى وهي ٥٧ نيشانًا
منها اعظم نياشين الممالك المسيحية والمسلمة كنشان الكارتر والنسر
والروح القدس والفيل والمجيدية وكان يسير وراء هولاء
مامورون يحملون نياشينهُ الروسية وغيرها وهي ١٧ ومنها نيشان
ذهبي تذكارًا لتخليصهِ الفلاحين من العبودية وثلثة نياشين عن
حرب سنة ١٨٥٣ وسنة ١٨٥٥ وسنة ١٨٥٦ ونيشان فتح القوقاس
الغربية بين سنة ١٨٥٩ وسنة ١٨٦٤ والحرب العثمانية سنة
١٨٧٧ و١٨٧٨ وكان يسير وراءهم مامورون حاملين تيجان مملكة
جورجيا جورس وسيبيريا وبولونيا واستراخان وكازان مع الكرة
الامبراطورية والصولجان والتاج . وكان جميع هولاء المامورين
الحاملين النياشين وغيرها يسيرون ضمن صفين من تلامذة
مدرسة القديس بولس العسكرية . اما القسم الثالث عشر فكان
مؤلفًا من خدمة دين حاملين الشموع ومنهم مرتلو كنيسة
القديس الكزاندر نفسكي وكنيسة السيدة في كازان ورؤساء
الاساقفة في نوفغورود وبطرسبرج ورؤساء شمامسة البلاد وكهنتها
ومعلم اعتراف الامبراطور المتوفى ثم ظهرت مركبة الميت الذهبية
الفاخرة تجرها ثمانية افراس يقودها ثمانية . وكان جالسًا على
كل زاوية من زوايا تلك المركبة معاونا حرب من معاوني حرب

الامبراطور ويمسك ما هو منسدل من غطاء التابوت ثمانية قواد من رتبة جنرال وثمانية من رتبة ماجور جنرال جميعهم لابسون ثياب الحداد وكان يسير عن جانبي المركبة ستون خادمًا حاملين شموعًا ووراء هؤلاء كان جلالة الامبراطور اسكندر الثالث يسير لابسًا ملابس قائد فرقة بريوجنسكي من الجيش الخاص وتلوح على وجههِ لوائح الحزن والكآبة. وكان يتبعهُ وزير القصر الامبراطوري وناظر الحربية وقائدان او ثلثة قواد من اعوانهِ وجميع اعضاء العائلة الامبراطورية الموجودين في بطرسبرج ومنهم الكراندوق فلدمير والكسيس وسرجيوس وبولس وقسطنطين وديمتري ونقولا وجورج مكسيمليانوفتش وبطرس واسكندر وقسطنطين اولدنبورغ والدوق جورج وميخائيل من مكلمبرغ استرلتز. وكان يسير خلفهم قواد الامبراطور ومعاونو حربهِ من معاوني الكراندوقين المذكورين. وكان وراءهم في مركبة امبراطورية حدادية الامبراطورة واولادها اي زوجة الامبراطور اسكندر الثالث ومعها البرنسس ماري بولفنا زوجة الكراندوق فلدمير. وكان يسير عند هذه المركبة جنديان مسلحان ووراءها اثنان من القوزاق ومن خلف هذه عدة مركبات فيها الدوقة الكزاندرا جوزفينا كريمة الدوق

دي ساكس التنبورغ المتوفى وهي زوجة الدوق قسطنطين والبرنسس اولغا فيودوروفنا من بادن زوجة الكراندوق ميخائيل مع دوقة ادنبرغ زوجة نجل ملكة انكلترا البرنسس ماري والبرنسس رومانوفسكي والدوقة لوفتانبرغ والبرنسس اوجين مكسيمليانوفنا وغيرها ووراءهن نساء الشرف المتعلقات بخدمة البرنسسات المذكورات ثم مامورو البلاط العظام واطباء الامبراطور المتوفى وخدمهُ وخمس فرق صغيرة من خمس فرق كبيرة من الجيش الخاص وصف من المدافع وفرقتان من الفرسان وغيرهم

وعند مرور المركبة الموضوعة عليها جثة الامبراطور قام الجنود المصفوفون في الطرق باداء السلام العسكري والموسيقات العسكرية العديدة تصدح بانغام محزنة وعند وصول المركبة من باب الكنيسة تقدم الامبراطورون والكراندوقون ونهضوا التابوت وحملوهُ الى المرتفع الذي تعين لوضعهِ في وسط الكنيسة وكان خدمة الدين يسيرون امامهم وبعد ان وصلوا بالتابوت من المرتفع كشف التابوت ووضعوه على مائدة مغطاة بغطاء من فضة مطرز بالذهب · ومن ثم اقيم الجناز · واخذ خدمة الدين في الصلاة عليهِ

ويجب ان لا ننسى هنا ان الامبراطور المرحوم كان بعد ان توفى الله زوجتهُ الامبراطورة اشهر زواجهُ بالبرنسس دولغروكي وذلك قبل وفاتهِ ببضعة اشهر وكان لهُ منها ثلاثة اولاد غير شرعيين ولكنهُ لم يرفعها الى رتبة امبراطورة . فهذه استغنمت سنوح الفرصة عند وقوع الاضطراب العام لتخرج هي واولادها من قصر الشتاء في بطرسبرج . واجتازت روسيا مسماة بغير اسمها وكانت تخاف ان تسجن في دير وان يفصل اولادها عنها وكان عمر الكبير سبع سنين والصغير اقل من سنة واحدة . وكان مركزها ومركز اولادها المالي متين جدًّا فانها تملك اربعين مليون ريال روسي اي مائة وستين مليون فرنك موضوعة باسمها في بنك برلين وكان قد ارسل الامبراطور الثمانية الملايين قبل ان قتل بثلثة اسابيع . وقد سافرت هذه البرنسس ومعها مرضعة وخادمة واحدة . ولم تجرأ ان تخبر احدًا من الذين في القصر بتصميمها على الهرب ولا بجهة ذهابها ولم تتمكن من الهرب الَّا في نفس يوم قتل زوجها

الفصل العاشر

جلالة الامبراطور اسكندر الثالث الحالي

ان جلالة الامبراطور اسكندر الثالث هو ابن اسكندر الثاني ولد في ١٠ اذار (مارث) من سنة ١٨٤٥ وتزوج بالبرنسس دغمار دي دانمرك اخت حضرة الملك جورج ملك اليونان وقد اشتهر عنها من الجمال الباهر وحسن المزايا والصفات الكريمة ما حمل الناس ان تضعها في الدرجة الاولى بين الامبراطورات والملكات بل بين نساء العالم اجمع . وقد قاد هذا الامبراطور العظيم في محاربة سنة ١٨٧٨ جيش يانترا وابدى من الشجاعة والدقة في المحاربة المذكورة ما ياتي بالعجب العجاب . وبعد موت ابيه قسم له الجنود في الحال يمين الامانة

ولا يخفى انه لم يكن قد سبق زمن مثل الزمان الذي جلس فيه الامبراطور اسكندر الثالث على عرش المملكة لانه كان مملوءا بالاضطراب والاضطهاد والقلاقل وقد شبهوا صعوده على كرسي المملكة كعسكري دخل في ثقب ضيق خرقته كرات

العدو . فالجمعية الاجرائية اعترفت علنًا بقتل سيدها ونبهت الامبراطور الجديد ان يتخذ خطة ابيهِ ولا يسري في طريقهِ التي دعوها ظالمة . وعليهِ فان جلالة الامبراطور الجديد عين في ٢٦ اذار (مارت) اخاهُ فلدمير وليًا للعهد اذا لا سمح الله وقع عليهِ مثل التعاسة التي وقعت على ابيهِ . لان بكرهُ كان اوانئذٍ في الثالثة عشرة من العمر

وبعد جلوسهِ على العرش نشر اعلانًا يشف عن حزن وكدر فانهُ يعلن موت ابيهِ قتلاً بايدي قتلة اشرار . ومن مآل الاعلان ما ياتي

لقد حملنا الحمل الثقيل الذي القاهُ الله سبحانهُ وتعالى على عاتقنا بالاتكال الثابت على مساعدتهِ القديرة ولا ريب في ان الحمل ثقيل . وربما صدرت علامات الاشتراك بالحاسيات من كل بلاد الى من قد دعي الى القيام بفروض واعمال ربما كانت تخور بها عزائم اشجع الناس . وقد بدا ملكهُ في وسط اضطراب عام وكدر وحيلة فانهُ ما من احد يعلم ما لا يزال مخزونًا في زوايا الاستقبال وبان الناس لا يعلمون بماذا ينبغي ان يشيروا . ولا بد ان نقر بكآبة ان القتلة قد فازوا . وقد باتت كل قاعدة في غيظ وشجن من جرى نجاح المؤامرة . وتاريخ

روسيا فيهِ مؤامرات كثيرة . وقد طالما كان القتل سلاح اهلها .
وقد حاول النيهيلست تكرارًا بثبات غريب وعزم لم يضعف
قتل امبراطور روسيا . ولم يفوزوا بقتلهِ وحده . فان اصحاب
الاراء الجديدة في روسيا قد حاولوا ان يرقوا اراءهم بقتل البرنس
كرابوتكن والكونت مزنوف والبارون هيكن ومحاولة قتل البرنس
دولغروكوف والي موسكو والجنرال مليكوف . وهذه الجنايات
هي بعض اثامهم وقد اوهموا انفسهم انهم رسل التعقل الصافي .
ويحبون ان يقرروا عند اهل الدنيا ان اتكالهم انما هو على الجرائد
ونشر الكتابات الثورية غير ان اعمالهم تكذب اقوالهم . فان
اكتشاف مؤامراتهم حينًا بعد حين يبين انهم يتكلمون على
الغدارات والقنابل المحشوة ووضع البارود والمواد المحرقة تحت
الارض والقاء الرعب في القلوب ليخلصوا روسيا من العبودية
التي يدعونها ويصلوا الى الادارة المظلمة العقلية التي تصفها
منشوراتهم . انتهى بعضهُ

واعلم لوريس مليكوف جلالة الامبراطور الجديد بالارادة
الاصلاحية التي منحها ابوهُ للرعايا وبالامر الذي اصدرهُ في الليلة
الماضية تحت توقيعهِ . فاجابهُ الامبراطور قائلاً (لا تغير شيئًا
من اوامر ابي لانها تكون وصيتهُ) . واتخذ هذه النصائح لانها

نفذت بعد ذلك ولا ريب ان التاسف كان شديداً في روسيا برمتها . وفي اليوم الثالث عشر من اذار اي ذاك اليوم المشوم كانت احوال الاصلاح وانفاذ مطالب المتآمرين على وشك الظهور وكل شيء سهلاً . ولا ريب ان تلك الطائفة كانت قبلت بتلك المنح وعرفت روسيا مقدار جميل سيدها العظيم المعلن على تلك الورقة ولو كانت غير كاملة ولكنها موقعة بخط يد القيصر الشهير

واما الجانون اي مرتكبو جريمة القتل فكانوا كثيرون وقد قتل بعضهم وقبض على بعضهم فجلنيكوف الذي القى الكرة الثانية قتل فيها كما قتل غيرهُ واحرق دماغ رفيق لهُ عند دخول البوليس الى بيتهِ . فبقي ريساكوف الذي القى الكرة الاولى وجليابوف الموقف ليلة القتل وكيبالتشيش الذي كان استخدم لشغل الكرات وميشالون المنخرط في كل المؤامرات الداخلية واخيراً قبض على الامراتين بيروفسكي وجسه هلغمن التي وضعت عندها الكرات . فحكم على الجميع بالاعدام ما عدا جسه هلغمن التي كانت حامل فقد اخر امر عقابها الى ما بعد وضعها . فجرَّب العدميون باطلاً منع قتل المجرمين بتهديداتهم وتخويفاتهم ولكن حدث في ١٥ نيسان عند مجرى الدعوى انهُ اعلن ان في

نفس الوقت الذي كان فيهِ ريساكوف وجلنيكوف ينتظران مرور الامبراطور المرحوم بكراتهم كان قد حفر لغم مميت بقرب الترعة تحت الطريق ولهذا كان لا يمكن للقيصر على اي حالة كانت ان يتخلص من الموت في ذاك اليوم. وفي شباط (ففريه) سنة ٨٨٤ اظهر اشتراك غير هولاء بالذنب وكان من النتيجة ان امر بانفاذ الاعدام فانفذ بعد حدوث بعض تعويقات

واعتمد جلالة الامبراطور الجديد ان يبقى على الحالة الحاضرة واظهر ذلك في اعلانهِ المنشور ١١ اذار (مايس) وقد تكلم بهِ عن تلك السلطة السائدة التي استلمها من لدن العناية الالهية وان من الواجب عليهِ ان يقوي وان يعضد تلك السلطة وعليهِ قدم لوريس مليكوف استعفاءهُ فتنظمت وزارة من رجال حزب المقاومة . فاستلم زمام وزارة الداخلية الجنرال اغناتيف ووزارة المعارف العمومية البارون نيقولا وخلف الموسيو بازا بالمالية الموسيو بونج وبالحربية قام الجنرال ميليونين مقام الجنرال فانوفسكي الخ . وفي ١٤ ايار (مايس) اظهرت الجمعية الاجرائية انها تقبل مثل هذا الاشهار بدوام الخصام ٠ وفي ٢٥ تشرين الثاني اطلق سكانكوفسكي الرصاص على الجنرال تشريفين فاخطاهُ ٠ وفي ٣٠ اذار (مايس) قتل في كياف سترلنيكوف

المدعي العمومي وفي نفس الوقت قتل ايضاً حاكم مرنسبايكالي

وعلى هذا الوجه طال زمن الارتباكات والاضطرابات والخوف على حياة جلالة القيصر المقدسة ولا سيما من جرى انتقالهِ واسفاره الى موسكو والى دير ترواييستا في شهر تموز (جوليه) سنة ١٨٨١ ولا سيما في زمن تهيئة لوازم التتويج الذي تاخر مرات كثيرة واخير جرى في ٢٧ آب (اوغسطوس) سنة ١٨٨٣

ومن جرى القلاقل والاضطراب والنهب والسلب التي حدثت في مدة سنتي ١٨٨١ و ١٨٨٢ بحيث قل الامان في عدة مدن من روسيا ولاسيما بالتا وقد نهب ٩٧٦ بيت للاسرائيليين وقتل ٨ وجرح ٢١١ نفساً ظهر ان عنصر البربرة لا يزال موجوداً في بعض اميال من الشعب الروسي وقد قال اصحاب تلك الافعال السيئة معترفين بقبيح اعمالهم ما معناهُ (اننا نفطر باليهود ونتغذى باصحاب الاملاك ونتعشى بالرهبان)

ومثل هكذا قوم يعرف كل عاقل انهم لا يخجلون من جرى معاداة الانسانية لكن لا يحق للانسان ان يطعن في شعب جمع اكثرهُ الفضائل والكمال والغيرة والمروءة ورغب في ان يضحي مالهُ وحياتهُ في الحصول على راحة الغير من ابناء جنسهِ قياماً بما

يطلبهُ الحب الانساني اذا وجد بينهُ جزءٌ صغير مقلق مكدر للراحة ما لبث ان قلَّ عملهُ وضعفت همتهُ بقصاصات الحكومة المتواترة وعليهِ فكان الاضطهاد خطرًا جدًّا ومعاملتهُ من الحكومة اكثر خطرًا ولذا راى الكونت اغناتيف ان يهتم بان يرضي الرأي العام فعرض سن رسم جديد يسهل على الفلاحين دفع المعينات الواجب عليهم دفعها في كل سنة بدلاً عن مشتراهم الاراضي التي كانوا لا يزالون متعبين منها في بعض اقاليم واراد ان يمنح المتحزبون الى الحكومة الحرية التي كانوا غير حاصلين عليها وذلك في بولونيا وسيبيريا والاقاليم البلطيكية اي يكون لهم انموزج الجمعيات الاقليمية

واخيرًا رجع بدوره الى مقاصد لوريس مليكوف فعرض ان يطلب الى بطرسبرج منتخبون من جماعة الزمستفانيين وذلك كان يوكد لروسيا نوعًا من التقدم الوطني غير ان تشريفين كان يرى ان السلام لا يقوم بهذه الطريقة فدخل في باب عناد مع الكونت اغناتيف لكنهُ غلب وحبطت مساعيهِ فاستعفى في كانون الثاني سنة ١٨٨٢ ومع كل ذلك فان المقاصد المنسوبة للكونت اغناتيف في سياستهِ الخارجية كانت مقلقة . لان كثيرين حكوا عن غيرتهِ ومحبتهِ للعنصر السلافي

واتهموهُ بانهُ يرغب في تخفيف الاضطراب والقلاقل وانهُ عزم ان يتخذ طريقة لذلك طرد الاسرائيليين اولاً ومن ثم طرد الالمان

وفي نفس ذاك الوقت خطب الجنرال سكوبيلوف في بطرسبرج خطاباً في مثل هذا المعنى . واعلن في فارسوفيا وفي بارسي ان المانيا العدو الالد لروسيا وانها كثيرة الخطر عليها . وطلب اي سكوبيلوف النظر في ما يلقي النزاع بين التيتونيين والسلاف (وقد توفي هذا الجنرال في موسكو في ٧ تموز (جوليه) سنة ١٨٨٢ اي بعد موت موسيو غامبتا بستة اشهر) . وعند ما وصل البرنس غورتشاكوف الى سن الرابعة والثمانين وهو سن الشيخوخة العميقة حصل من جلالة الامبراطور على السماح بالتنازل والتنحي عن الاشغال ولما كان هذا الوزير الخطير من رجال روسيا العظام كان علينا ان نذكر هنا طرفاً من ترجمتهِ وسياستهِ على ما نشرتهُ الجرائد لانهُ خدم روسيا زماناً غير قليل واكتسب شهرة عظيمة في كل الارض تقريباً وهاك ما قالتهُ جريدة التيمس عند تنحيهِ عن الاشغال

ان رجلاً من اقدم رجال السياسة في اوربا واشهرهم قد خرج من ميدان الاعمال معتزلاً الاشغال السياسية وهو البرنس

كورتشاكوف الذي طالما اشيع انهُ قد تنحى قبل تنحيهِ الاكيد .
وقد قيل تكرارًا اثناء حياتهِ الطويلة ان امر اعتزالهِ اصبح مبرمًا
ولم يصح ذلك الاَّ الان وهكذا قد انتهت خدمة ذات شهرة
واهمية كبرى بعد ان صرف البرنس كورتشاكوف الذي كان
يقوم بها نحو اكثر من ستين سنة في الخدمة السياسية صارفًا
نصفها في مركز مهم جدًّا في اوربا وقد ناب عن بلاده في اصعب
مشاكلها واهم امورها وادار دفتها تكرارًا عند ما كان الصلح
والحرب في كفة ميزانها . وتاريخ حياتهِ هو تاريخ روسيا
السياسي نصف قرن . ومن الصعب ان يبحث عن تقدم
السياسة الروسية مع صرف النظر عن الوزير الاول الحاذق
الثاقب العاقل الذي كانت ازمتها في يده وعندما كان البرنس
بسمارك فتىً كان ذاك البرنس الروسي متضلعًا في الامور
السياسية وعند ما كان البرنس الالماني كاحد اعيان بروسيا
كان البرنس الروسي قد قام باكثر من مامورية واحدة دقيقة
واكتسب شهرة بالحذق والدراية والسياسة . واقدم رجال
سياسة اوربا من جيل اصغر من جيل البرنس كورتشاكوف
الذي بدأَ في جمع الاخبار السياسي في مؤتمر ليباخ وفرونا
وتمكن من ان يحوز السبق بجمع الاخبار بقواعد بوتسوري

بورجو ومترنيخ واكتسب شهرة سياسية قبل ان ولد اكثر رجال سياسة هذا الزمان . وكل مدة يحدث ما يذكر الناس قهرًا بسرعة جري الحوادث وتقلبات كل شيء سياسي واعتزال ذاك البرنس عن الاشغال العمومية يبين لجيلوانهُ قد خسر الصلة التي تجعلهُ متصلاً بجيل سابق

وقد اتهمهُ الانكليز انهُ شخص ذو سياسة عدوانية في الشرق وقد قام بمخابرات كثيرة سياسية مع انكلترا اكثرها متعلق بالمسألة الشرقية كل التعلق او بعضهُ وكانت غالبًا اسباب قلق واضطراب . وقد صرّح في كتابات كثيرة رسمية بآراء واميال جعلتهُ بالضرورة مقاومًا لهذه البلاد ومن اعمالهِ الاولى المهمة عند ما خالف الكونت نسلرود اقامة الحجة بالنظر الى اعمال انكلترا المتعلقة بصقلية لمضادة المداخلة في امور بلدان اجنبية . وقد نشر اعلانهُ المشهور مصرحًا فيهِ لزوم انشاء مؤتمر للمفاوضة بشان حق روسيا في البحر الاسود وانهُ حلّ الزمان الموافق لتصرّح روسيا بانها كدولة عظيمة لا تقدر ان تقبل بالحالة الجارية وهذا جعلهُ مضادًا من جميع الدول ولا سيما من انكلترا وعند ما كان البرنس بسارك سفيرًا في بطرسبرج تقرب منهُ كثيرًا . ومن ثم تعلم كلٌ منهما ان يعتبر صفات الاخر وان كانت متباينة

لصفاته ونشأ عن ذلك الصداقة التي كانت تنفع بها روسيا بروسيا في ساعة احتياجها فانها عندما حاربت النمسا وعند ما حاربت فرنسا كان نفوذ كورتشاكوف من القوة المهمة المعدودة لنفع بروسيا غير ان هذه الصداقة لم تمنع وقوع سوء مفهومية لانهُ قبل استعفائهِ بسنة تقريباً قلقت المانيا من جرى ما خيل لها من نوايا وزير روسيا الاول . وقيل ان جنوداً روسية جمعت جمعاً تهديدياً عند التخوم الالمانية وشرعت جرائد الامتين تحارب ونسب هذا الى اختلاف الوزيرين . والواقع ان البرنس كورتشاكوف قد اعتزل في وقت ليس في فلكهِ السياسي علامات مشاكل مهمة الأ في مكان او مكانين تاركاً وراءهُ شهرة تاريخية عظيمة وقد قرر عوائد في نظارة الخارجية لا بد ان يحافظ عليها من يخلفهُ

وقد ولد هذا البرنس وهو الخامس من عائلتهِ واسمهُ الكزاندر كورتشاكوف في ١٦ تموز (جوليه) سنة ١٧٨٩ جمع الاختبار السياسي اولاً في دائرة الكونت نسلرود في خدمات متفرعة وصار سنة ١٨٢٤ كاتم اسرار سفارة روسيا في لوندرا وتولج ادارة سفارتها في فلورنس سنة ١٨٣٠ وصار مستشار سفارة روسيا في النمسا سنة ١٨٣٢ وادار السفارة مرات عديدة اثناء

غياب السفير او اثناء مرضهِ . وبعد تقلد عدة ماموريات صار سفير روسيا في النمسا سنة ١٨٥٢ واظهر في مدة حرب القريم من الحذق والذكاء والاهلية ما زاد في مدح سياستهِ وحملت روسيا على عقد معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ في الاكثر بنفوذه فيها . وبعد ذلك خلف نسلرود في وزارة الخارجية وسنة ١٨٥٧ كان مع الامبراطور اسكندر عندما قابل الامبراطور نابليون الثالث في استنفارت . وصار سنة ١٨٦٢ نائب الوزير الاول وسنة ١٨٦٤ وزيراً اول . وعندما نجح بسياسة ابطال حيادة البحر الاسود سنة ١٨٧٠ لقبهُ الامبراطور بصاحب السمو العالي . واظهر سنة ١٨٧٢ و ١٨٧٤ رغبة في مجانبة تكدير العلاقات الجارية بين روسيا وانكلترا دون الرجوع عن سياسة عدوانية . وهو مبلى بداء النقرس ومع ذلك استمر الى سنة ١٨٨١ وزير روسيا الاول وفي الغالب يصرف فصل الصيف في سويسرا او في المانيا فلله دره من رجل يقدر ان يقوم باعظم مهام الدنيا وادقها بعد ان يقرب من التسعين بعقل حاذق لم يطرأ عليهِ تغيير ولا ضعف .

انتهى

وظهر بعد ذلك ان مسألة السلم او الحرب الداخلي والخارجي تتعلق بالانتخاب الذي يقوم بهِ الامبراطور اسكندر

الثالث بين رجلي الدولة اللذين يمكنهما ان يحصلا على خلافة
الوزير الاول وهما الكونت اغناتيف والموسيو دي جيرس فجلالة
الامبراطور انتخب هذا الاخير اي الموسيو دي جيرس وحينئذٍ
استعفى الكونت اغناتيف وقام مقامهُ بوزارة الداخلية الكونت
تولستواي ومنذ ذاك الحين حذفت بصرامة الحركة المضادة

وكان من اهم اعمال جلالة الامبراطور اسكندر الثالث
الاهتمام بترقية الاسباب المالية في بلاده وتعديلها تعديلاً يوافق
مصرفها لدخلها ولاسيما وقد صرف الجهد الى توسيع الجندية
وزيادتها وقد كثرت التقولات في ذلك في هذه الايام اي في
سنة ١٨٨٧ و١٨٨٨ ولهجت السن الجرائد والسن الخطباء فيما
جمعتهُ الدولة الروسية وفيما تقدران تجمعهُ من الجند عند حدوث
الحرب وقد دهش ذلك العالم بما كاد لاتصدقهُ العقول لولا
كثرة التواتر فيهِ . وقد راينا من المناسب ان ننشر ما نشره السار
دلك وزير خارجية انكلترا عن روسيا ومركزها الحربي من العالم
ومنهُ تبين باجلى بيان كيف ان اعداء الروسية ومناظريها
يعرفون عظم اقتدارها ويقدرون بتاكيد الحالة التي ستصل اليها
بعنايتهِ تعالى واما قول السار دلك فهو

اذا خطر للمرء وجود حكومة عامة لاح لهُ ان ذلك يتحقق

بامركا في الولايات المتحدة وعندنا ان ذلك ينطبق على روسيا وهو راسخ في افئدة الروس حتى انهم كثيراً اما يترنمون قائلين عن انفسهم انهم يصبحون ذات يوم سادة المسكونة واذا امعنا النظر وتحرينا الامور ضاربين عن امركا واوستراليا نقول ان روسيا سوف تستغرق العالم القديم ولا نقول ذلك على سبيل النبوة بل ان مجرى الامور يظهر كحاكم في هذه الحال

ولمزيد التحقيق ننظر الان في حال روسيا العسكرية وتقابلها بحال الدول المجاورة لها فنرى روسيا مع كثرة ديونها و باهظ نفقاتها السنوية تزداد يومياً قوة واقتداراً وهذه القوة المعتبرة في نفسها يكسبها عدم الوقوف على تمام حقيقتها مزيد الاهمية والعظمة فما جنديتها الا اكثر جندية واهم عسكرية فاذا قامت عساكرها على قدم الحرب فلا تكون في بادئ الامر دون اربعة ملايين محارب وتاخذ في الازدياد فتبلغ ستة ملايين على ما يسطر في لائحتها . ولقد يخطر لقوم ان تلك ارقام على ورق فقد فاتهم ان الجندية الروسية قد تقدمت كثيراً منذ عام ١٨٧٨ وعندها من المدافع ما عند المانيا او فرنسا واما خيالتها فقد تضاهي خيالة كلتيهما عدداً فهي اكثر من خيالة المانيا والنمسا معاً والابلغ انها الخيالة تفوق سواها تدرباً وتثقيفاً على حروب العصر واذا

وسائل روسيا ادارتها الحكمة تزداد يوميًا فانها لمملكة في عنفوان صبائها بكل الوجوه واذا اعتبرنا سيبيريا وحدها وجدناها تعادل الولايات المتحدة الامركانية وزد على ذلك موقع روسيا العجيب وخطة قلاعها واستحكاماتها على الثغور الالمانية ذلك كلهُ يقهر عدوها ويقرض شجرة صبره وطول اناتهِ

وهب انقدت نار الوغى بين روسيا والمانيا فاهل البر في روسيا لا يعهدون اجنبيًا ولا يخالون الاَّ الالماني وحدهُ حتى ان لفظة الماني واجنبي اصبحت مترادفة عندهم وكل الماني اجنبي عندهم وبعكس هذا وبغضهم للقوم البكم على ما ينعتون الالمان عميق شديد فلا يعرف الروسي الانكليزي فقد ذكروا الالماني وحده دون سواه من الامم وقد رسخ في فواد الكافة بينهم انهُ ياتي يوم تستعر فيهِ نار الحرب بين روسيا والمانيا وانها لحرب ليست حرب ١٨٧٠ الا ظلها والعوبة صبيان بالمقابلة لها على ما ينادي بهِ عساكرهم وانهُ اذا ساعدت التقادير فيها المانيا وحازت نصرًا فلا تنحط قوة روسيا ولا تفشل بل تكرر الحرب مرة بعد مرة الى ان تتلاشى الامبراطورية الالمانية واما البلاط القيصري فانهُ يقص من اعنة هذا الراي الشعبي · على انهُ يراعيهِ فيجني يومًا ثماره غير ان روسيا اليوم انما تقصد في عدوانها بالحري النمسا لا المانيا

ويعسر علينا ان نقابل ما بدا في هذه السنين من امبراطوري روسيا والمانيا من الافصاح بالمودة الصادقة والعلائق الصافية الموارد وما نراه منذ عام ١٨٧٠ من تحويل مراكز حربية الى معسكر عام ومن نصب البطريات في القلاع والاستحكامات ومن مزيد التحصن في جهات واليوم توجهت العناية الى مزيد استحكام الثغور من الطرفين

وما نراه اليوم من زيادة جندية روسيا فانما هو لقاء زيادة جندية المانيا اذا انضمت اليها جندية النمسا وبذلك تتقرر الموازنة واننا لقائلون ولا نخشى لومة لائم ان يمتنع من الان وصاعداً على المانيا ان تحارب جميع اعدائها معاً فاذا خطر لها اليوم محاربة روسيا او فرنسا يكون ذلك ضرباً من الجنون بل انتحار محض . انتهى بعضهُ

ولا ريب ان العالم اجمع يعرف موكداً ان جلالة قيصر روسيا الحالي سلك في خطتهِ السياسية مسلك اجداده وآبائهِ بل زاد عليهم الاهتمام بامر ترقية البلاد ونجاح المعارف فلم يقف في طريقها ما يوخر مجراها بل منحها اكبر حرية وزاد في مركزها الادبي والسياسي لدى اعين العالم بحيث صارت اكثر ارهاباً واعظم نفوذاً من الاول وسير الى اواسط اسيا الحملات ولم

يبطل ما كان قد بدأ به ابوهُ المرحوم من تقرر السلطة في افغانستان ليفتح طريق الهند وليسهل لمقاصده الحسنة سرعة العمل في كل الجهات ولا يزال الانكليز يخافون من ان ذات يوم تلتهم روسيا تلك الاراضي فتهضمها كما هضمت غيرها لاتحسب حساباً لاحد قط . وان كانت الحدود قد تعينت بين كل من المملكتين الأَّ ان ضمير الانكليز غير مرتاح ولا يمكن ان يرتاح قط وهي ترى تلك القوة الروسية تعظم وترتفع وتتشعب من كل اطرافها وتمتد الى جهات العالم

ومن جرى بعض اكدار سياسية وشخصية وقعت من الامير اسكندر امير البلغار تجاه جلالة القيصر حمل بعض البلغاريين على مقاومته فترك كرسي الامارة وبارح البلغار وعليه فقد وقعت تلك البلاد في قلاقل عظيمة وارتباك سياسية مهمة وشمخت شموخاً غير منتظر فانفردت بحسب الظواهر في اعمالها ونكرت جميل روسيا الذي القتهُ على عاتقها ليس فقط في حرب سنتي ١٨٧٧ و١٨٧٨ بل في جميع الحروب التي وقعت بينها وبين الباب العالي بسبب شعوب الصقالبة ومن راجع هذا التاريخ يرى ذلك بجلاء ولم يلتفتوا الى نصائح سيدة البلاد اي الدولة العلية التي بالاتفاق مع روسيا وباقي الدول ارادت ان ينتخب للبلاد امير

بحسب ما هو مقرر في عهدة برلين ولما كان من غاية بعض الدول ان يكون اميرًا البلغار البرنس فردينند دي كوبورج ولاسيما اوستريا دست الى البلغار المتمسكين فيها قبولهُ . فدخل البلغار في خلال سنة ١٨٨٧ فلاقاه الاهالي بالترحاب والاعتبار واستلم ازمة الاحكام وتعاطى العمل بدون ان يحصل على رضا الباب العالي ومصادقة الدول اجمع فغاظ ذلك روسيا وعملت على طرده وخابرت في ذلك الباب العالي واشرطت دوام المحافظة على السلام وكانت النمسا تخالفها في سياستها في البلغار فاتفقت مع المانيا على ذلك وقد اجابتها اليهِ عن رضى

ومما يستنتج من خطاب القاهُ البرنس بسمارك في شهر شباط من سنة ١٨٨٨ انهُ لم يمل منذ الاول الى مخالفة اوستريا الاَّ بعد ان راى اعراض روسيا عنها وميلها الى فرنسا وهاك بعض ما فاه بهِ ذاك الوزير الخطير قال . وفي سنة ١٨٧٥ ظهر للمرة الاولى ميل زميلي غورتشاكوف لفرنسا لا لالمانيا فاذاع بين العالم انهُ كان في عزمنا ان نهجم على فرنسا في سنة ١٨٧٥ وان البرنس غورتشاكوف حال دوننا . ثم جاءت الحرب الشرقية التي اعقبها عقد ميثاق بين روسيا واوستريا على الحلول في بوسنه فسررنا اذ راينا الزوبعة منفضة الى الجنوب اما عهدة سان استيفانو فلم

نكن لا اقبح ولا احسن من عهدة برلين التي عقدت بعدها — الى ان قال — وكنت احسب اني خدمت روسيا خدمة يندر لوزير اجنبي ان يقوم بها فاذا بجرائد روسيا اخذت في ان تطعن شيئاً فشيئاً على سياسة المانيا حتى تطوحت في الطعن عليّ شخصياً وقد قاد بي هذا الطعن الى محالفة اوستريا وكنت لا اود محالفتها لان اكثر اوربا كانت تحت استقلال روسيا فقام عليّ قيام التهديد بالحرب فاكرهت على ان افصل بين روسيا واوستريا وعقدت العهدة المنشورة الان وقد اخطأ من قال انها من قبيل التهديد او الوعيد او الانذار لروسيا فان ذلك غير صحيح كما لا صحة بان روسيا كانت عالمة بها منذ زمن طويل وكنت اسفت لو لم نعقدها بل كنت في حاجة الى عقدها اليوم — الى ان قال — ولما غالبنا سنة ١٨٧٠ الدولة الفرنسوية شعرت اوستريا بوجوب محاربتها لانها عدوتها منذ سنة ١٨٦٥ ولكن كان من راي وزارتها انها ولو فازت لا تقدر على البقاء في الحال التي كانت سنة ١٨٦٦ واذا لم تفز سقطت ممالك المانيا الجنوبية في حوزة فرنسا وباتت بروسيا كالطفل بين يدي روسيا فهذا لم تقبل به سياسة اوستريا . اما نحن فلنا ثقة تامة بثبات اوستريا واذا فرضنا عدم وجود اوستريا كنا مهملين بين فرنسا وروسيا

وبتنا واحد امام اثنين وتحت مرحمتهما واذا اردنا ان لا نكون مهملين وذلك يقضي علينا بالخطر تعين علينا ان نتخذ صديقاً اميناً نعتمد عليهِ وان كان لنا من الاصدقاء اثنان ولا تنشر الحروب مدفوعة اليها بيد البغض ولو صح ذلك لكانت فرنسا مستمرة ليس على حربنا فقط بل على حرب انكلترا وايطاليا لانها تكرهما معاً فان عهد السلم يربطنا بحلفائنا ليس فقط لمصلحتنا الشخصية بل لمصلحة اوربا (انتهى)

وكان فعلاً قد تمكن رابط الوفاق بين دولتي روسيا وفرنسا وذلك من سياسة جلالة القيصر الروسي لانهُ يميل طبعاً الى محالفة فرنسا وقد اظهر ذلك في حرب سنة ١٨٧٠ عند ما كان ابوهُ يحالف المانيا . ولا يزال الامبراطور عاملاً على سياستهِ من جهة البلغار وباقي الدول ورأى من اللازم اسناد سياستهِ بالقوة وان كان من سياستهِ المحافظة على السلم وراحة اوربا وعليهِ فقد عقد في غاتسينا مجلساً حربياً تحت رئاستهِ للنظر فيمن يكون القائد الاكبر للعساكر الروسية حين شبوب الحرب فعين الغراندوق ولدمير شقيق القيصر لهذه الوظيفة وعين الجنرال غوركو رئيساً لاركان الحرب

ومن ثم شرع في بناء اكواخ كبيرة على الخطوط الحديدية

بين اودسا وكياف وسعت الحكومة في مشترى كثير من الحبوب والمؤن وقد ادخلت الاسلحة من كل جانب الى المستودعات فالمدافع كثيرة والبنادق وفيرة وذخائر الجيوش لا يحصيها قلم كاتب

وقد زادت عساكرها على حدود بروسيا زيادة عظيمة واقامت عدة فرق على قدم الحرب وسيرت الفرقة الثانية من عساكر قوه قاف الى جهات بولونيا واقيم اربع فرق من الفرسان في ضواحي بنيسزوني على امل ان تتهدد مدينة كراكوفي

واما عند الحدود النمساوية فقد حشدت الجيوش الكثيرة واتخذت كامل الوسائط الفعالة حتى اذا جاء المستقبل بما يحبط مساعيها السياسية حركت ذاك الجند الى العمل والانفاذ ومع كل ذلك فانهُ على ما يظهر بل ويؤكد ان غاية الامبراطور سلمية جدًّا فانهُ وان كان يرغب في ان لا يرجع القهقرى في السياسة التي ينويها فهو لا يكدر السلام الاوربي الّا بعد ان يدفع اليه مرغومًا من معاندة الدول وقد اظهر لنا الاخبار انهُ صرف اكثر من سنتين يطيل المخابرات بشان المسالة البلغارية ويقلبها على كل وجهٍ يوافق مصلحة روسيا ورضى الدولية العلية في الاول وفي الثاني موافقة الدول ورفع اثقال حرب مشومة اذا لا سمح

الله قدر القدر وقوعها وحتى الساعة لا يزال الامبراطور الروسي على سياسته السلمية صارفاً الجهد اليها يرى الى اعمال البلغاريين بعين الرفق والتاني وهم يشمخون وينفرون وقد حملتهم القحة الى التمسك باميرهم فردينند الغير قانوني وان يفكروا بالحرية التامة وان يشهروا استقلالهم تماماً ليكون لهم نفس النصيب الذي كان لجيرانهم من ابناء جنسهم وفوق كل ذلك فان جلالة الامبراطور يرغب في توطيد الصلات مع الدولة العلية العثمانية وقد حملها على بقائها في مضمار الرحمة والرفق بعد ان كانت بعثت بجيوشها تطوق الاراضي البلغارية وارادت ان تعمد الى القوة. وعليه فاننا لا نعلم ما ياتي به المستقبل في مسألة البلغار المهمة بعد طبع هذا التاريخ اي بعد شهر نيسان من سنة ١٨٨٨ . ولا ريب اذا ساعدتنا يد العناية لا نحرم من وضع كتاب تاريخ اخر يفصل هذه المسألة وما يعقبها من اجراءات جلالة امبراطور روسيا الحالي وهو اسكندر الثالث

تم بعنايته تعالى





